روائع محمود درويش

دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس

❋

009722340035

Mjundi46@gmail.com

www.for-alquds.org

❋

(روائع محمود درويش)

(محمود سمير)

❋

الطبعة الأولى (٢٠١٦).

❋

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

روائع محمود درويش

إعداد

محمود سمير

الطبعة الأولى

٢٠١٦م – ١٤٣٧هـ

الفهرس

المقدمة..... ٧
مديح الظل العالي..... ٩
الجدارية..... ٥٧
احمد الزعتر ١٠٩
ريتا والبندقية..... ١٢٣
فكر بغيرك ١٢٥
الآن في المنفى..... ١٢٧
برتقالية ١٢٩
هناك عرس ١٣١
لوصف زهر اللوز ١٣٣
في البيت أجلس ١٣٥
فرحاً بشيءٍ ما خفيٍّ ١٣٧
لا أعرف الشخص الغريب..... ١٣٩
قال لها: ليتني كنت أصغر..... ١٤١

المقدمة

للشاعر محمود درويش مكانة مرموقة بين شعراء العالم العربي. وقد جعل للحرف طعم خاص في النفس العربية. رغبت باختيار مجموعة من عيون الشعر الدرويشي مما أعشق أنا شخصيا. وهذه القطفات من بستان درويش التي انتهيت بها إليكم أيها القراء الأعزاء، درويش الشاعر العبقري الذي كلما انتهت قصيدة من قصائده اضافت له شيئا منا واعطتنا شيئا منه، فنحن نتاثر ونؤثر، وبهذه الدورة التاثيرية يستمر الشاعر ويلهم ويستلهم جيلا بعد جيل. لم يذهب، وكيف يذهب وقد سكب روحه على الورق ونقشا على جدار التاريخ؟ هل الارواح المعذبة بالحب والبعيدة في المنفى لا تهدا الا بين دفتي كتاب؟ ما السر بان الشعر يفتح مغاليق افئدتنا ويثير حزننا هكذا؟ انه ليس مجرد تعاطف، لقد نقل الينا العدوى فصرنا ايضا نبحث عن ذواتنا ونسقط اقنعتنا لنكون كائنات شفافة تليق بوطن جميل كالذي سيعود غضا فتيا كما تركناه في الذاكرة.

اليكم هذه الاختيارات علها تذهب عنكم سأم الانتظار...انتظار الحرية المغيبة...انتظار الوطن كما يراه الشعراء...

سمير الجندي

مديح الظل العالي

بحرٌ لأيلولَ الجديدِ. خريفُنا يدنو من الأبوابِ...
بحرٌ للنشيدِ المرِّ.
هيَّأنا لبيروتَ القصيدةَ كُلَّها.
بحرٌ لمنتصفِ النهارِ.
بحرٌ لراياتِ الحمامِ، لظلِّنا، لسلاحنا الفرديِّ
بحرٌ، للزمانِ المستعارِ
ليديكَ، كمْ من موجةٍ سرقتْ يديكَ
من الإشارةِ وانتظاري
ضَعْ شكلنا للبحرِ. ضَعْ كيسَ العواصفِ عند أول صخرةٍ
واحملْ فراغكَ.. وانكساري
..واستطاعَ القلبُ أن يرمي لنافذةٍ تحيتهُ الأخيرةَ
واستطاع القلبُ أن يعوي، وأن يَعِدَ البراري
بالبكاء الحُرِّ..
بَحرٌ جاهزٌ من أجلنا
دَعْ جسمك الدامي يُصَفِّق للخريفِ المُرِّ أجراساً.
ستتَّسعُ الصحاري
عمَّا قليلٍ، حين ينقضُّ الفضاء على خطاكَ
فرغتُ من شَغَفي ومن لهفي على الأحياء. أفرغتُ انفجاري
من ضحاياك استندتُ على جدارِ ساقطٍ في شارع الزلزالِ
أجمعُ صورتي من أجل موتكَ
خُذْ بقاياكَ، اتخذني ساعداً في حضرة الأطلالِ. خُذْ قاموسَ
ناري
وانتصرْ
في وردةٍ تُرمى عليكَ من الدموعِ
ومن رغيفٍ يابسٍ، حافٍ، وعارِ
وانتصرْ في آخر التاريخِ...

لا تاريخَ إلاّ ما يؤرِّخه رحيلُكَ في انهياري
قلنا لبيروت القصيدةَ كلها، قلنا لمنتصفِ النهارِ:
بيروت قلعتنا
بيروت دمعتنا
ومفتاحٌ لهذا البحر. كُنَّا نقطة التكوينِ
كنا وردةَ السور الطويلِ وما تبقَّى من جدارِ
ماذا تبقَّى منكَ غيرُ قصيدةِ الروحِ المحلِّقِ في الدخان قيامةً
وقيامةً بعد القيامةِ؟ خُذْ نُثاري
وانتصرْ في ما يُمَزِّقُ قلبكَ العاري
ويجعلكَ انتشاراً للبذارِ
قوساً يَلُمُّ الأرضَ من أطرافها..
جَرَساً لما ينساهُ سَكَّانُ القيامةِ من معانيكَ.
انتصرْ
إنَّ الصليب مجالُك الحيويُّ، مسراكَ الوحيدُ من الحصار إلى
الحصارِ.
بحرٌ لأيلولَ الجديدِ. وأنتَ إيقاعُ الحديدِ تَدُقُّني سُحُباً على الصحراءِ
فلتمطرْ
لأسحبَ هذهِ الأرضَ الصغيرةَ من إساري.
لا شيء يكسرنا
وتنكسر البلادُ على أصابعنا كفُخَّار وينكسرُ المسدَّسُ من
تلهُّفِكَ.
انتصرْ، هذا الصباحَ، ووحِّد الراياتِ والأممَ الحزينةَ والفصولَ
بكلِّ ما أُوتيتَ من شبقِ الحياةِ
بطلقةِ الطلقاتِ
باللاشيء
وحِّدنا بمعجزةٍ فلسطينيةٍ...
بيروت قصَّتنا
بيروت غصَّتنا
وبيروت اختبارُ اللهِ.
يا الله
جرَّبناكَ جرَّبناكَ.

من أعطاك هذا اللُّغز؟ من سَمَّاكَ؟
من أعلاك فوق جراحنا ليراكَ؟
فاظهرْ مثل عنقاء الرماد من الدمارِ!
****

نَمْ يا حبيبي، ساعةً
لنمُرَّ من أحلامك الأولى إلى عطش البحار إلى البحارِ.
نَمْ ساعةً، نَمْ يا حبيبي ساعةً
حتى تتوب المجدليَّةُ مرةً أخرى، ويتَّضحَ انتحاري
نَمْ، يا حبيبي، ساعةً
حتى يعود الرومُ، حتى نطردَ الحرَّسَ عن أَسوار قلعتنا
وتنكسرَ الصواري.
نَمْ ساعةً. نَمْ يا حبيبي
كي نصفِّق لاغتصاب نسائنا في شارع الشَّرف التِّجاري
نَمْ يا حبيبي ساعةً، حتى نموتْ
هيَ ساعةٌ للانهيارِ
هيَ ساعةٌ لوضوحنا
هيَ ساعةٌ لغموضِ ميلادِ النهارِ

****

أتموتُ في بيروت –لا تُولِمْ لبيروتَ الرغيفَ، عليكَ أَن تجد
انتظاري
في أناشيدِ التلاميذِ الصغار وفي فراري
من حديقتنا الصغيرةِ في اتجاه البحرِ–
لا تُولِمْ لبيروتَ النبيذَ –عليك أن ترمي غباري
عن جبينكَ. أن تُدثِّرني بما أَلِفَتْ يداك من الحجارةِ
أن تموت كما يموتونَ
وأن تنامَ إلى الأبدْ
وإلى الأبدْ...
لا شيء يطلع من مرايا البحر في هذا الحصار
عليك أن تجد الجسد في فكرة، وأن تجدَ البلد

في جثةٍ أخرى، وأن تجد انفجاري
في مكان الانفجار....
أينما وَلَّيتَ وجهكَ..
كل شيء قابل للانفجار.

****

الآن بحرْ
الآن بحرٌ ُ كله بحرٌ
ومن لا برَّ لهْ
لا بحر لهْ
والبحرُ صورتُنا
فلا تذهبْ تماما
هي هجرةٌ أخرى فلا تذهب تماما
في ما تفتَّحَ من ربيع الأرض فيما فجَّرَ الطيرانُ فينا
من ينابيعٍ. ولا تذهبْ تماما
في شظايانا لتبحث عن نبِّي فيكَ ناما
هي هجرة أخرى إلى ما لستُ أعرفُ...
ألفُ سهمٍ شد خاصرتي ليدفعني أماما.
لا شيء يكسرنا
ومن أَدمى جبين الله، يا ابن الله، سمَّاهُ، وأنزلهُ كتاباً أو غماما
****

كمْ كنتَ وحدك، يا ابن أُمِّي
يا ابنَ أكثرَ من أبٍ
كم كنتَ وحدكْ
القمحُ مرٌ في حقولِ الآخرينْ
والماءُ مالحْ
والغيم فولاذٌ. وهذا النجمُ جارحْ
وعليك أن تحيا وأن تحيا
وأن تعطي مقابلَ حبةِ الزيتون جِلدَكْ.
كم كنت وحدكْ.

لا شيء يكسرنا، فلا تغرقْ تماما
في ما تبقى من دمٍ فينا..
لنذهبْ داخلَ الروحِ المحاصرِ بالتشابهِ واليتامى
يا ابنَ الهواءِ الصلبْ، يا ابن اللفظةِ الأولى على الجزرِ القديمةِ
يا ابنَ سيدةِ البحيرات البعيدة، يا ابن من يحمي القدامى
من خطيئتهم، ويطبع فوقَ وجه الصَّخر برقاً أو حماما.
لحمي على الحيطانِ لحمكَ يا ابن أمي
جسدٌ لأضرابِ الظلالْ
وعليكَ أن تمشي بلا طُرُقٍ
وراءً أو أماما أو جنوباً أو شمالْ
وتُحرِّكَ الخطواتِ بالميزانِ
حينَ يشاءُ مَنْ وهبوك قيدَكْ
ليزيِّنوكَ ويأخذوكَ إلى المعارضِ كي يرى الزوارُ مجدكْ
كم كنت وحدك!
هي هجرةٌ أخرى....
فلا تكتب وصيتكَ الأخيرةَ والسلاما.
سَقطَ السقوطُ وأنت تعلو
فكرةً
ويداً
و..شاما!
لا بَرَّ إلا ساعداكْ
لا بحرَ إلاَّ الغامضُ الكحليُّ فيكْ
فتقمَّصِ الأشياءَ كي تتقمَّصَ الأشياءُ خطوتكَ الحراما
واسحبْ ظلالكَ عن بلاطِ الحاكمِ العربي حتى لا يُعَلِّقَها
وساما
واكسرْ ظلالك كُلَّها كيلا يمدُّوها بساطاً أو ظلاما
****
كسروكَ، كم كسروكَ كي يقفوا على ساقيك عرشا
وتقاسموك وأنكروك وخبَّأوك وأنشأوا ليديكَ جيشا
حطوكَ في حجرٍ ... وقالوا: لا تُسَلِّمْ

ورموك في بئرٍ ... وقالوا: لا تُسَلِّمْ
وأطلْتَ حربَكَ، يا ابن أمِّي
ألفَ عامٍ ألفَ عامٍ ألفَ عامٍ في النهارِ.
فأنكروكَ لأنهم لا يعرفون سوى الخطابة والفرار.
هم يسرقون الآن جلدكْ
فاحذرْ ملامحهم ...وغمدكْ
كم كنت وحدك، يا ابن أمِّي
يا ابن أكثر منْ أبٍ
كم كنت وحدكْ...!
****

والآن، والأشياء سَيِّدَةُ، وهذا الصمتُ عالٍ كالذبابه
هلْ ندركُ المجهول فينا؟ هل نُغَنِّي مثلما كنا نُغَنِّي؟
سقطتْ قلاعٌ قبلَ هذا اليومِ لكن الهواء الآن حامضْ.
وحدي أدافعُ عن جدارٍ ليس لي
وحدي أدافعُ عن هواءٍ ليس لي
وحدي على سطحِ المدينةِ واقفٌ....
أيُّوبُ ماتَ، وماتتِ العنقاءُ، وانصرفَ الصحابهْ
وحدي. أراود نفسيَ الثكلى فتأبى أن تساعدني على نفسي
ووحدي
كنتُ وحدي
عندما قاومت وحدي
وحدةَ الروحِ الأخيرهْ...
****

لا تَذكُرِ الموتى، فقد ماتوا فُرادى أو ....عواصمْ
سأراك في قلبي غداً، سأراك في قلبي
وأجهشُ يا ابن أمي باللغهْ
لغةٍ تُفَتِّشُ عن بنيها، عن أراضيها وراويها
تموت ككلِّ من فيها، وتُرمى في المعاجمْ
هي آخر النخلِ الهزيلِ وساعةُ الصحراءِ
آخرُ ما يَدُلُّ على البقايا

كانوا، ولكن كنتَ وحدك
كم كنتَ وحدكَ تنتمي لقصيدتي، وتمدُّ زندكْ
كي تُحوِّلها سَلالِمَ، أو بلاداً، أو خواتمْ
كم كنتَ وحدكَ، يا ابن أمي
يا ابن أكثرَ من أبٍ
كم كنتَ وحدكْ...!
****

والآن، والأشياء سَيِّدَةٌ، وهذا الصمت يأتينا سهاما
هل ندركُ المجهولَ فينا. هل نغني مثلما كنا نغني؟
آه يا دمنا الفضيحة، هل ستأتيهم غماما
هذه أمم تَمرُّ و تطبخ الأزهار في دمنا
وتزدادُ انقساما.
هذه أممٌ تفتشُ عن إجازتها من الجَمَلِ المزخرفِ.....
هذه الصحراءُ تكبر حولنا
صحراءُ من كل الجهاتِ
صحراءُ تأتينا لتلتهم القصيدةَ والحساما
اللهُ أكبرْ
هذه آياتنا فاقرأْ:
باسم الفدائيِّ الذي خَلَقَا
من جزمةٍ أفقا
باسم الفدائيِّ الذي يرحلْ
من وقتِكم ....لندائِهِ الأولْ
الأولِ الأولْ
سَنُدَّمِرُ الهيكلْ.
باسم الفدائي الذي يبدأْ
إقرأ
بيروتُ- صُورتُنا
بيروتُ – سورتُنا
****

بيروت – لا

ظهري امام البحرِ أسوارٌ و...لا
قد أخسرُ الدنيا.. نَعَمْ!
قد أخسرُ الكلماتِ...
لكني أقول الآن: لا.
هي آخر الطلقاتِ –لا.
هي ما تبقَّى من هواء الأرضَ – لا.
هي ما تبقَّى من نشيجِ الروحِ-لا.
بيروتُ – لا
****

نامي قليلاً، يا ابنتي، نامي قليلا
الطائراتُ تعضُّني.وتعضُّ ما في القلب من عَسَلٍ
فنامي في طريق النحل، نامي
قبل أن أصحو قتيلاً.
الطائراتُ تطير من غُرَفٍ مجاورةٍ إلى الحَمَّامِ، فاضطجعي
على درجاتِ هذا السُّلَّمِ الحجريِّ، وانتبهي إذا اقتربتْ
شظاياها كثيراً منكِ وارتجفي قليلاً.
نامي قليلاً.
كُنَّا نُحبُّك، يا ابنتي
كنا نَعُدُّ على أصابع كفِّك اليسرى مسيرتَنا
ونُنْقِصُها رحيلا.
نامي قليلا.
الطائراتُ تطيرُ، والأشجارُ تهوي
والمباني تخبز السُكَّانَ، فاختبئي بأغنيتي الأخيرةِ، أو بطلقتيّ
الأخيرةِ، يا ابنتي
وتوسّديني كنتُ فحماً أم نخيلا.
نامي قليلا.
وتَفَقَّدي أزهارَ جسمكِ
هل أصيبتْ؟
واتركي كفِّي، وكأسَيْ شاينا، ودعي الغَسيلا.
نا مي قليلا.

لو أستطيع أعدتُ ترتيبَ الطبيعةِ:
ههنا صفصافةٌ ...وهناك قلبي
ههنا قمرُ الترددِ
ههنا عصفورةٌ للانتباه
هناكَ نافذةٌ تعلِّمكَ الهديلَ
وشارعٌ يرجوكِ، أن تبقي قليلا
نامي قليلا.
كُنَّا نُحبكِ، يا ابنتي
والآن، نعبدُ صمتَك العالي
ونرفعهُ كنائس من بَتُولا.
هل كنتِ غاضبةً علينا، دون أن ندري ...وندري
آهِ مِنَّا ....آه ماذا لو خَمَشْنا صُرَّةَ الأفقِ.
قد يَخْمِشُ الغرقى يداً تمتدُّ
كي تحمي من الغرقِ.
****

بيروت – لا
ظهري أمام البحر أسوارٌ و....لا
قد أخسر الدنيا، نعمْ
قد أخسر الكلماتِ والذكرى
ولكني أقول الآن: لا.
هي آخر الطلقاتِ –لا.
هي ما تبقَّى من هواء الأرض –لا.
هي ما تبقَّى من حطامِ الروحِ – لا
بيروت – لا
****

أشلاؤنا أسماؤنا. لا ...لا مَفَرُّ.
سقطَ القناعُ عن القناعِ عن القناعِ
سقطَ القناعُ
لا إخوةٌ لك يا أخي، لا أصدقاءُ
يا صديقي، لا قلاعُ
لا الماءُ عندكَ، لا الدواءُ ولا السماءُ و لا الدماءُ ولا الشراعُ

ولا الأمامُ ولا الوراءُ
حاصِرْ حصَارَكَ ... لا مفرُّ
سقطتْ ذراعكَ فالتقطها
واضرب عَدُوَّكَ ...لا مفرُّ.
وسقطتُ قربك، فا لتقطني
واضرب عدوكَ بي ...فأنت الآنَ حُرٌّ
حُرٌّ
وحُرٌّ....
قتلاكَ أو جرحاك فيك ذخيرة ٌ
فاضربْ بها إضرب عدوَّكَ....لا مَفَرُّ.
أشلاؤنا أسماؤنا
حاصرْ حصارَك بالجنونِ
وبالجنونِ
وبالجنونْ
ذهبَ الذين تحبُّهم، ذهبوا
فإمَّا أن تكونْ
أو لا تكونْ
سقط القناعُ عن القناعِ عن القناعِ
سقطَ القناعُ
ولا أحدْ
إلاَّك في هذا المدى المفتوح للأعداء والنسيان
فاجعل كلَّ متراسٍ بَلَدْ
لا...لاأحَدْ
سقط القناعُ
عَرَبٌ أطاعوا رُومَهم
عَرَبٌ وباعوا رُوْحَهُم
عَرَبٌ ...وضاعوا
سقطَ القناعُ
واللهُ غَمَّسَ باسمك البحريِّ أسبوعَ الولادةِ واستراحَ إلى الأبَدْ
كُنْ أنتَ.كُنْ حتى تكونْ!
لا...لا أحَدْ

يا خالقي في هذه الساعاتِ من عَدَمٍ تَجَلَّ!
لعلَّ لي حُلُماً لأعبدَهُ
لعلَّ!
علمتني الأسماءَ
لولا
هذه الدولُ اللقيطةُ لم تكنْ بيروت رملا
بيروت – كلا
****

بيروت – صورتُنا
بيروت- سورتُنا
فإمَّا أن نكونْ
أو لا تكونْ.....
****

أنا لا أحبُّكِ
كم أحبُّكِ!
غيمتانِ أنا وأنتِ، وحارسان يُتَوِّجان الانتباهَ بصرخةٍ
ويُمَدِّدان الليلَ حتى آخر الليلِ الأخير. أقول حين أقولُ
بيروتُ المدينةُ ليست امرأتي
وبيروتُ المكانُ مُسدَّسي الباقي
وبيروتُ الزمانُ هُوِيَّةُ((الآنِ)) المضَّرجِ بالدخانِ.
أنا لا أحبكِ
كم أحبكِ!
غمسي باسمي زهورَك وانثريها فوق من يمشي على جُثثي
ليتسع السَّرايْ
لا تسحبيني من بقاياكِ، اسحبيني من يديَّ ومن هوايْ
و لا تلوميني، ولومي منْ رآني سائرا كالعنكبوتِ على خطايْ
هل كانَ من حقِّي النزولُ من البنفسجِ والتوهجُ في دمايْ؟
هل كان من حَقِّي عليكِ الموتُ فيكِ
لكي تصيري مريماً
وأصيرَ ناي؟

هل كان من حَقِّي الدفاعُ عن الأغاني
وهي تلجأُ من زنازين الشعوب إلى خُطاي؟
هل كان لي أن أطمئنّ إلى رؤاي؟
وأن أصدِّق أن لي قمراً تُكَوِّرُهُ يداي؟
صَدَّقْتُ ما صَدَّقْتُ، لكني سأمشي في خُطاي.
أنا لا أحبِّكِ
كم أحبكِ كم أحبكِ، كمْ سنهْ
أعطيتني وأخذتِ عمري. كم سنهْ
وأنا أسمِّيكِ الوداعَ، ولا أودعُ غيرَ نفسي. كم سنهْ
وَعَدُوكِ بالآتي وحين أتاكِ واتاكِ الحنينُ إلى السفينةِ. كم سنهْ
لم تذكري قرطاجَ؟
هل كنا هواءً مالحاً كي تفتحي رئتيكِ للماضي
وتبني هيكلَ القدسِ القديمةِ. كم سنهْ
وَعَدُوكِ باللغةِ الجديدةِ واستعادوا الميتينَ مع الجريمةِ.
هل أنا ألِفٌ وباءٌ، للكتابةِ أمْ لتفجير الهياكلِ؟
كم سنهْ
كنا معاً طوقَ النجاةِ لقارَّةٍ محمولةٍ فوقَ السرابِ
ودفتر الإعراب؟
كمْ عَرَبٌ أتَوْكِ ليصبحوا غَرْبا
وكمْ غَرْبٌ أتاكِ ليدخلَ الإسلامَ منْ بابِ الصلاةِ على النبي
وسُنَّةِ النفطِ المُقَدَّسِ؟ كم سنهْ
وأنا أصدِّقُ أن لي أُماً ستتبعني
وأنكِ تكذبين على الطبيعة والمسدَّس، كم سنهْ!
بيروتُ – منتصف اللغهْ
بيروتُ –ومضةُ شهوتينْ
بيروتُ –ما قالَ الفتى لفتاتِهِ
والبحرُ يسمعُ، أو يوزِّعُ صوتَهُ بينَ اليدينْ.
أنا لا أحبكِ
غمِّسي بدمي زهورَكِ وانثريها
حول طائرةٍ تطاردُ عاشقينْ
والبحرُ يسمعُ، أو يوزِّعُ صوتَهُ بين اليدينْ.

وأنا أحبكِ
غمِّسي بدمي زهورَكِ وانثريها
حول طائرةٍ تطاردني وتسمع ما يقول البحرُ لي
بيروت لا تعطي لتأخذَ
أنتِ بيروتُ التي تعطي لتعطي ثم تسأم من ذراعيها
ومن شَبَقِ المُحِبْ
فبأيِّ إمرأةٍ سأومنْ
وبأيِّ شُبَّاك سأومنْ
من تُزَوِّجني ضفائرَها لأشنق رغبتي
وأموت كالأمم القديمة. كم سنهْ
أغريتني بالمشي نحو بلاديَ الأولى
وبالطيران تحت سمائيَ الأولى
وباسمك كنتُ أرفعُ خيمتي للهاربين من التجارة والدعارة
و الحضارة. كم سنهْ
كنا نَرُشُّ على ضحايانا كلام البرقِ:
بعد هُنَيْهَةٍ سنكون ما كنا وما سنكونُ
إمَّا أن نكون نهارك العالي
وإما أن نعود إلى البحيرات القديمة. كم سنهْ
لم تسمعني جَيِّداً. لم تردعيني جيداً. لم تحرميني من فواكهكِ
الجميلةِ. لم تقولي: حين يبتسم المخيَّمُ تعبس المدن الكبيرة.
كم سنهْ
قلنا معاً: أنا لا أشاءُ ولا تشائين. اتفقنا.كُلُّنا في البحر
ماءٌ. كم سنهْ
كانت تُنَظِّمنا يَدُ الفوضى:
تعبنا من نظامِ الغازِ
من مطرِ الأنابيبِ الرتيبِ
ومن صعود الكهرباءِ إلى الغُرَفْ...
حريتي فوضاي. إني أعترفْ
وسأعترفْ
بجميع أخطائي، وما اقترفَ الفؤادُ منَ الأماني

ليس من حَقِّ العصافير الغناءُ على سريرِ النائمين
والإيديولوجيا مهنة البوليس في الدول القويةِ:
من نظام الرقِّ في روما
إلى مَنْعِ الكحولِ وآفةِ الأحزاب في المُدُنِ الحديثةِ.
كم سنهْ
نحن البدايةُ و البدايةُ و البدايةُ. كم سنهْ
وأنا التَوَازُنُ بين ما يجبُ؟
كُنَّا هناكَ. ومن هنا ستهاجر العَرَبُ
لعقيدةٍ أخرى.وتغتربُ
قصبٌ هياكلنا
وعروشنا قصبُ
في كُلِّ مئذنةٍ
حاوٍ ومغتصبُ
يدعو لأندلسٍ
إنْ حُوصرتْ حَلَبُ.
وأنا التوازُنُ بينَ مَنْ جاءوا ومن ذهبوا
وأنا التوازُنُ بينَ مَنْ سَلَبُوا ومن سُلِبوا
وأنا التوازُنُ بينَ منْ صَمَدُوا وَمَنْ هربوا
وأنا التوازُنُ بين ما يَجِبُ:
يجبُ الذهابُ إلى اليسارْ
يجبُ التوغُّلُ في اليمينْ
يجبُ التمترسُ في الوسطْ
يجبُ الدفاعُ عن الغلطْ
يجبُ التشككُ بالمسارْ
يجبُ الخروجُ من اليقينْ
يجبُ الذي يجبُ
يجبُ انهيارُ الأنظمهْ
يجبُ انتظار المحكمهْ
....وأنا أحبكِ، سوفَ أحتاجُ الحقيقةَ عندما أحتاجُ تصليحَ
الخرائطِ و الخططْ
أحتاجُ ما يجبُ

يجبُ الذي يجبُ
أدعوا لأندلسٍ
إنْ حوصرتْ حلبُ.
. **********

بيروت \ فجراً:
يُطلقُ البحرُ الرصاصَ على النوافذ. يفتح العصفورُ أغنيةً مبكرةً. يُطيِّرُ جارَنا رفَّ الحمام إلى الدخان. يموتُ مَنْ لا يستطيع الركض في الطرقات: قلبي قطعة من برتقال يابسٍ. أهدي إلى جاري الجريدةَ كي يفتّشَ عن أقاربهِ. أعزِّيه غداً. أمشي لأبحث عن كنوز الماء في قبو البنايةِ. أشتهي جسداً يضيء البارَ والغاباتِ. يا ((جيم)) اقتليني واقتليني واقتليني!
يدخلُ الطيرانُ أفكاري ويقصفها....
فيقتلُ تسعَ عشرةَ طفلةً.
يتوقف العصفور عن إنشاده...
عاديَّةُ ساعاتنا – عاديَّة
لولا صهيلُ الجنسِ في ساقيك يا ((جيم)) الجنونْ.
والموتُ يأتينا بكل سلاحه الجويِّ والبريِّ والبحريِّ.
ألفُ قذيفةٍ أخرى ولا يتقدم الأعداء شبراً واحداً.
((جيم)) اجمعيني مرةً
ما زلتُ حياً ـ ألفُ شكرٍ للمصادفةِ السعيدة.
يبذل الرؤساء جهداً عند أمريكا لتُفْرِجَ عنْ مياهِ الشربِ.
كيف سنغسل الموتى؟
ويسأل صاحبي: وإذا استجابت للضغوط فهل سيسفر موتنا عن:
دولةٍ...
أم خيمةٍ ؟
قلتُ: انتظرْ! لا فرقَ بينَ الرايتينْ
قلتُ: انتظرْ حتى تصب الطائراتُ جحيمها!
يا فجرَ بيروتَ الطويلا

عَجِّلْ قليلا
عَجِّلْ لأعرفَ جيِّداً:
إنْ كنتُ حياً أم قتيلا.
****

بيروت \ ظهراً:
يستمرُّ الفجرُ منذ الفجرِ.
تنكسرُ السماءُ على رغيف الخبزِ.
يَنكسرُ الهواءُ على رؤوسِ الناسِ منْ عبءِ الدخانِ ولا جديدَ لدى العروبةِ:
بعدَ شهرٍ يلتقي كُلُّ الملوكِ بكلِّ أنواعِ الملوكِ، من العقيدِ إلى العميد، ليبحثوا خطر اليهود على وجودِ الله. أمَّا الآن فالأحوال هادئة تماماً مثلما كانت. وإن الموتَ يأتينا بكل سلاحه الجويِّ والبريِّ والبحريِّ.مليون انفجار في المدينة.
هيروشيما هيروشيما
وحدنا نُصغي إلى رعد الحجارة، هيروشيما
وحدنا نُصغي لما في الروحِ من عبثٍ ومن جدوى
وأمريكا على الأسوارِ تهدي كل طفلٍ لعبةً للموتِ عنقوديةً
يا هيروشيما العاشقِ العربيِّ أمريكا هي الطاعون، والطاعونُ أمريكا
نعسنا. أيقظتنا الطائرات وصوتُ أمريكا
وأمريكا لأمريكا
وهذا الأفق اسمنتٌ لوحشِ الجوِّ.
نفتحُ علبةَ السردين تقصفها المدافعُ
نحتمي بستارةِ الشباك، تهتز البناية. تقفزُ الأبوابُ. أمريكا وراء الباب أمريكا
ونمشي في الشوارعِ باحثين عن السلامة
من سيدفننا إذا متنا؟
عرايا نحن، لا أفقٌ يغطينا ولا قبرٌ يوارينا
ويا....يا يومَ بيروتَ المكسَّرَ في الظهيرهْ
عَجِّلْ قليلا
عَجِّلْ لنعرفَ أين صَرْخَتُنا الأخيرهْ.

****

بيروت / عصراً:
تكثر الحشراتُ.
تزدادُ الرطوبةُ.
ترتخي العضلاتُ
نشعر أن للأرض احتقاناً في مفاصلنا
فنصرخ: أيها البطل انكسِرْ فينا!
****

مساء/ فوق بيروت:
الرخامُ
ينزُّ دماً ويذبحني الحمامُ
إلى مَنْ أرفعُ الكلماتِ سقفاً
وهذي الأرضُ يحملُها الغمامُ؟
ويرحلُ، حين يرحلُ، نحو تيهي
أحدِّقُ في المسدَّسِ وهو ملقىً
على طَرَفِ السرير وأشتهيهِ
وينقذني، وينقذني الكلامُ.
ظلامٌ كُلُّ ما حولي ... ظلامُ.
بيروت / ليلا:
لا ظلامَ أشدَّ من هذا الظلامِ
يُضيئني قَتْلي.
أمنْ حَجَرٍ يقُدُّون النعاسَ؟
أمنْ مزامير ٍ يصكُّون السلاحَ؟
ضحيَّةٌ
قَتَلتْ
ضحيَّتها
وكانت لي هويَّتُها
أنادي أشعيا: أخرج من الكتب القديمة مثلما خرجوا، أزقَّةُ
أورشليم تُعَلِّقُ اللحمَ الفلسطينيَّ فوق مطالع العهد القديم
وتدَّعي أن الضحيةَ لم تُغَيِّر جلدها.
يا أشعيا..لا تَرِثْ

بل أهجُ المدينةَ كي أحبكَ مَرَّتين
وأعلنَ التقوى
وأغفر لليهوديِّ الصبيِّ بكاءه...
اختلطتْ شخوصُ المسرح الدمويّ:
لا قاضٍ سوى القتلى
وكفُّ القاتل امتزجَتْ بأقوال الشهودِ
وأدخل القتلى إلى ملكوت قاتلهم
وتمَّتْ رشوةُ القاضي فأعطى وجهه للقاتل الباكي على شيء
يُحَيِّرُنا...
سَرَقْتَ دموعنا يا ذئب
تقتلني وتدخل جُثَّتي وتبيعها!
أخرجْ قليلاً من دمي حتى يراك الليلُ أكثَر حُلْكَةً!
وأخرجْ لكي نمشي لمائدة التفاوض، واضحينْ
كما الحقيقةُ:
قاتلاً يدلي بسكِّينٍ.
وقتلى
يدلون بالأسماء:
صبرا
كفر قاسم
دير ياسين
شاتيلا!
****

بيروت \ ليلا:
لا تنامي كلَّ هذا الليلِ
لا تتحدَّثي عما يدور وراء هذا البابِ
لا ترمي ثيابك
لا تُعَرِّيني تماماً
لا تقولي الحبَّ
لا تعطي سوى فخذيكِ
لا تتأوهي فالحرب تسمع زهرة الجسديْنِ.

أني أرتديك على الشظية قربَ باب البيت
نبقى واقفين وواقفين إلى النهايةِ.
واصلي سرقات هذا الشهْد
زُجِّيني بشهوتك السريعة قبلما يأتي إلينا موتُنا الخلفيُّ
أني أوثِرُ الموتَ الذي يأتي إلى كتفيَّ ... نحلا!
بيروت / ليلا:
مثل باذنجانةٍ.....
قمرٌ غبيٌ مَرَّ فوق الحربِ
لم يركبْ له الأطفالُ خيلا.
****

بيروت / ليلا:
أُمْسِك الآنَ الهواء الأسودَ الصخريَّ
أكسره بأسناني، أعضُ عليهِ. أدميهِ. وأركلُهُ
أكاد أُجَنُّ مما يجعلُ الساعات .....رملا.
****

بيروت / ليلا:
قالت امرأةٌ لجنديٍّ قبيحِ الوجهِ:
خذني للرُّكامِ وفُضَّني
لأصيرَ .....أحلى.
****

بيروت / ليلا:
لم أجد فيك الخليَّةَ والجزيرةَ.
أين ماتَ الشعر!
أين استسلمت للزوجِ ليلى؟
****

بيروت / ليلا:
يقصفون مقابر الشهداء، يدثِّرون بالفولاذ يضطجعون معْ
فتياتهم، يتزوجون، يطلِّقون يسافرون، ويولدون
ويعملون ويقطعون العمر في دبَّابةٍ....
أهلاً وسهلا!

بيروت / ليلا:
يخرج الشهداء من أشجارهم، يتفقَّدون صغارهم، يتجولون
على السواحل
يرصدون الحلم والرؤيا يُغطُّون السماء بفائض الألوان
يفترشون موقعهم
يُسمُّون الجزيرة يغسلون الماء ثم يطرِّزون حصارنا
قططاً .....ونخلا.
****

بيروت / ليلا:
وحدنا واللهُ فينا وحدنا
الله فينا قد تجلَّى!
****

بيروت / ليلا:
يمدح الشعراء قَتْلي في مجالسهم
ويرتعدون مني حين أطلع بينهم صوتاً وظِلاّ.
****

بيروت / ليلا:
آه، يا أفقاً تبدَّى
من حذاءِ مقاتلٍ
لا تنغلقْ
لا تنغلقْ أبداً
لئلاّ.....
****

بيروت / ظهراً:
اليوم يَنْشَقُّ الحصانْ.
اليوم ينشقُّ الحصانُ إلى نهارينِ
المدينةُ و القصيدةُ تخرجان
من خصر أجملنا، سميرْ درويشْ
ليحتفل المكانْ
بنا ...وينسبنا إلى أحَدٍ
ليعطي العائلهْ

شجراً وأسماءً.....
أتعرفُ مَنْ أنا حتى تموت نيابةً عنِّي؟
ستمضي القافِلَهْ
جازاكَ ربُّكَ ...سوف تمضي القافلهْ
لا، ليس شعراً أن ترى قمراً يُنَقِّطُ خارطه
لا ليس شعراً أن ترتِّب ذكرياتي الساقطَهْ
فانهض على فرسِ الدخانْ
وارحلْ معي، من أجلِ أمِّكْ...
****

بيروت / عصراً:
زمنٌ مضى
لكنه لا ينتهي
****

بيروت / فجراً:
الشاعرُ اُفتُضِحَتْ قصيدتُهُ تماما
وثلاثةٌ خانوهُ:
تموزٌ
وإمرأةٌ
وإيقاعٌ
فنامَا....
لا يستطيع الصوتُ أن يعلو على الغارات في هذا المدى
لكنهُ يُصغي لموجتِهِ الخصوصيَّهْ:
موتٌ وحريَّهْ
يصغي لموجتهِ ويفتحُ وقتهُ لجنونِهِ
من حقِّهِ أن يُجلس السأمَ الملازمَ فوق مائدةٍ
ويشرب قهوةً مَعَهُ
إذا ابتعد الندامى.
الشاعرُ افْتُضِحَتْ قصيدتُهُ تماما
بيروتُ تخرجُ من قصيدتِهِ
وتدخل خوذةَ المُحتلِّ

مَنْ يُعطيه دهشتَه
ومنْ يرمي على يَدِهِ
أرُزّاً أو ....سلاما.
الشاعرُ اْفتُضِحَتْ قصيدتُهُ تماما.
في بيته بارودةٌ للصَّيْدِ
في أضلاعه طيرٌ
وفي الأشجارِ عُقمٌ مالحٌ.
لم يشهدِ الفصلَ الأخيرَ منَ المدينةِ.
كُلُّ شيء واضحٌ منذ البدايةِ
واضحٌ
أو واضحٌ
أو واضحٌ
وخليلُ حاويْ لايريد الموتَ، رُغْمَاً عنهُ
يُصغي لموجَتهِ الخصوصيَّهْ
موتٌ وحريهْ
هو لايريد الموتَ رُغماً عنهُ
فليفتحْ قصيدتَهُ
ويذهبْ...
قبل أن يُغريه تموزٌ وإمرأةٌ وإيقاعٌ
....وناما
الشاعرُ اْفْتُضِحَتْ قصيدتُهُ تماما.
****

بيروت / فجراً
بيروت /ظهراً
بيروت /ليلاً:
يخرج الفاشيُّ من جسدِ الضحيَّهِ
يرتدي فصلاً من البارود: أُقْتُلْ – كي تكون
عشرين قرناً كان ينتظرُ الجنونْ
عشرين قرناً كان سفّاحاً مُعَمَّمْ
عشرين قرناً كان يبكي ....كان يبكي

كان يخفي سيفَهُ في دمعَتِهْ
أو كان يحشو بالدموع البندقيَّهْ
عشرين قرناً كان ينتظر الفلسطينيَّ في طرف المخيَّمْ
عشرين قرناً كان يعلَمْ
أن البكاءَ سلاحُهُ
****
صبرا – فتاةٌ نائمهْ
رحلَ الرجالُ إلى الرحيلْ
والحرب نامت ليلتين صغيرتين
و قدَّمَتْ بيروتُ طاعتَها وصارتْ عاصمَهْ.....
ليلٌ طويلٌ
يرصدُ الأحلامَ في صبرا
وصبرا – نائمهْ.
صبرا – بقايا الكفِّ في جسدٍ قتيلٍ
ودَّعَتْ فرسانها و زمانها
واستسلمتْ للنومِ من تعبٍ ومن عربٍ رَمَوْها خلفهم.
صبرا – وما ينسى الجنودُ الراحلون من الجليلِ
لا تشتري و تبيعُ إلاَّ صمتها
من أجل وردةٍ للضَّفيرهْ
صبرا – تغني نصفَها المفقودَ بين البحرِ والحربِ الأخيرهْ:
لمَ ترحلونْ
وتتركون نساءَكم في بطنِ ليلٍ من حديدِ؟
لمَ ترحلونْ
و تعلّقون مَسَاءَكُمْ
فوق المخيَّم والنشيدِ؟
صبرا – تُغَطِّي صدرها العاري بأغنية الوداعْ
وتَعُدُّ كفَّيها و تخطيءُ
حين لا تجد الذراعْ:
كم مرةً ستُسافرونْ
و إلى متى ستُسافرونْ
ولأي حُلمْ؟

وإذا رجعتم ذات يومْ
فلأي منفى ترجعونَ
لأي منفى ترجعونْ؟
صبرا – تُمَزِّق صدرها المكشوفَ:
كم مَرَّهْ
تتفتَّحُ الزهرهْ
كم مَرَّةً
ستُسافر الثورهْ؟
صبرا – تخافُ الليل. تسندهُ لرُكْبتها
تغطيهِ بكحلِ عيونها. تبكي لتُلْهيهِ:
رحلوا وما قالوا
شيئاً عن العودهْ
ذبلوا وما مالوا
عن جمرة الوردهْ!
عادوا وما عادوا
لبداية الرحلهْ
والعمرُ أولادُ
هربوا من القُبْلَهْ.
لا ليس لي منفى
لأقول: لي وطنُ
الله، يا زمنُ ...؟
صبرا – تنامُ. وخنجرُ الفاشيِّ يصحو
صبرا تنادي ...مَنْ تنادي
كُلُّ هذا الليلِ لي، والليلُ ملحُ
يقطع الفاشيُّ ثدييها – يقلُّ الليلُ–
يرقص حول خنجرهِ ويلْعَقُهُ. يغني لانتصار الأرْزِ موالاً
ويمحو
في هدوءٍ ....في هدوءٍ لحمَها عن عَظْمِها
ويمدِّدُ الأعضاءَ فوق الطاولَهْ
ويواصل الفاشيُّ رقصَتَهُ ويضحك للعيون المائلهْ
ويُجَنُّ من فرحٍ وصبرا لم تعد جسداً:

يُرَكِّبها كما شاءتْ غرائزهُ، وتصنعها مشيئتهُ.
ويسرق خاتماً من لحمها، ويعودُ من دمها إلى مرآتِهِ
ويكون – بحرُ
ويكون – برٌّ
ويكون – غيمُ
ويكون – دَمْ
ويكون – ليلُ
ويكون – قتلُ
ويكون – سبتُ
وتكون – صبرا.
صبرا – تقاطُعُ شارعينِ على جَسَدْ
صبرا – نزولُ الروحِ في حَجَرٍ
وصبرا – لأحدْ
صبرا – هوية عصرنا حتى الأبدْ...
****
بيروت/ أمس / الآن / بعد غدٍ:
نشيدٌ للخريفِ
صُوَرٌ لما بعد النهارْ
وظلال إمرأةٍ غريبهْ.
وطني حقيبهْ
وحقيبتي وطني
ولكن .....لا رصيفَ
ولا جدارْ.
لا أرضَ تحتي كي أموتَ كما أشاءُ
ولا سماءْ
حولي
لأثقبَها وأدخلَ في خيام الأنبياءْ.
ظهري إلى الحائطْ
الحائطِ/ الساقطْ!
وطني حقيبهْ
وحقيبتي وطنُ الغَجَرْ

شعبٌ يُخَيِّمُ في الأغاني والدخانْ
شعبٌ يفتِّشُ عن مكانْ
بين الشظايا و المطرْ.
وجهي على الزهرهْ
الزهرة / الجمرهْ
وطني حقيبهْ
في الليل أفرشها سريرا
وأنامُ فيها
أخدعُ الفتياتِ فيها
أدفن الأحباب فيها
أرتضيها لي مصيرا
وأموتُ فيها.
كَفِّي على النجمهْ
النجمة / الخيمهْ
وطني حقيبهْ
من جلدِ أحبابي
و أندلسَ القريبهْ
وطني على كتفي
بقايا الأرضِ في جسدِ العروبَهْ.
قلبي على الصخرهْ
الصخرةِ / الحرهْ
****

يا أهلَ لبنانَ ....الوداعا
شكراً لكُلِّ شجيرةٍ حملت دمي
لتضيءَ للفقراءِ عيدَ الخبزِ
أو لتضيءَ للمحتلِّ وجهي كي يرى وجهي
و يرتديَ الخداعا.
شكراً لكلِّ سحابةٍ غَطَّتْ يديَّ
وَبَلَّلَتْ شفتيَّ
حتى أعطت الأعداء باباً ...أو قناعا.
شكراً لكلِّ مسدَّسٍ غطَّى رحيلي

بالأرُزِّ وبالزهور
وكان يبكي أو يزغرد ما استطاعا.
يا دمعةً هي ما تبقّى من بلادٍ
أسندُ الذكرى عليها .....والشُّعاعا.
يا أهلَ لبنانَ الوداعا!
اليوم أكملتُ الرسالةَ فانشروني، إن أردتم، في القبائلِ توبةً
أو ذكرياتٍ
أو شراعا.
اليوم أكملتُ الرسالةَ فيكُمُ
فلتطفئوا لهبي إذا شئتم، عن الدنيا
وإنْ شئتمْ فزيدوهُ اندلاعا
أنا لي، كما شاءتْ خطاي
حملتُ روحي فوق أيديكم فراشاتٍ
وجسمي نرجساً فيكمْ
وموتايَ اندفاعا
يا أهلَ لبنانَ ...الوداعا.
هذا دمي، يا أهل لبنان ارسموهْ
قمراً على ليلِ العربْ.
هذا دمي – دمُكم خذوه ووزّعوهْ
شجراً على رمل العربْ.
هذا رحيلي عن نوافذكم وعن قلبي انحتوهْ
حجراً على قبرِ العربْ
هذا بكاء رصاصنا، هذا يتيم زواجنا، فلترفعوهْ
سهراً على عُرس العربْ.
هذا نشيجي. مزقوه وبعثروه
مطراً على أرض العرب.
هذا خروج أصابعي من كفِّكمْ
هذا فطام قصيدتي، فلتكتبوهْ
وتراً على طربِ العربْ.
هذا غبار طريقنا، فلترفعوهْ
لهمو حصوناً، أو قلاعاً

يا أهلَ لبنانَ الوداعا
سيجيئكم مَطَرٌ
ويغسلُ ماتركتُ على شوارعكم من الكلماتِ
يطردُ ما تركتُ على نوافذكم من الشهواتِ.
يمحو ما لمستُ من الصَّنوبرِ في جبالِكُمُ
وينسيكمْ فتىً كسرَ الهواءَ على موائدكم قليلا.
وأضاع يديهِ في أيديكمُ سنةً، وضاعا.
يا أهلَ لبنانَ ....الوداعا.
حدَّقتُ في كَفِّي
لأبصرَ ما وراء البحرِ–
تلكَ وسيلتي لتَبَصُّر الأشياءِ–
بحرٌ ثم بحرٌ ثم بحرٌ
منْ رآني
عَدَّ أكفاني
وغطى جرحكم كي يشتري جبلاً
ويبتاعَ الصراعا.
يا أهلَ لبنانَ ....الوداعا.
لا جوعَ في روحي،.
أكلتُ من الرغيف الفذِّ ما يكفي المسيرَ إلى نهايات الجهات.
عشاؤكم ليس الأخيرَ
وليس فينا من تراجَعَ، أو تداعى.
يا أهلَ لبنانَ ....الوداعا.
جَسَدانِ في تابوتِ هذا الشرق نحنُ
يزوِّدان المزوَدَ المنسيَّ بالصرخاتِ
نحن بشارة الميلادِ نحنُ
وصورتانِ لخطوةٍ
ٍ قد حاولت
ٍ قد حاولت
أن تهديَ الشرقَ المَشَاعا.
يا أهلَ لبنانَ ....الوداعا.
إسمان للتوحيد نحنُ:

على مشيئتنا أردنا أن نكونَ
ولا يكونَ الناسُ في الدنيا متاعا.
يا أهلَ لبنانَ ....الوداعا
والآن، أكملنا رسالتنا
إذ اتَّحدَ الشقيقُ مع العدوِّ
ولم نجد أرضاً نُصَوِّب فوقها
دَمَنا
ونرفعه قلاعا.
يا أهلَ لبنانَ ....الوداعا.
اليوم إنجيلُ السوادْ
اليوم تابتْ مريمٌ عن توبةِ التوباتِ وارتفع الحدادْ
إلى جبين الله
واختفتِ الملائكةُ الصغيرةُ
في أكاليلِ الرمادْ...
والبحرُ أبيضُ
هذا سُفني الأخيرهْ
ترسو على دمع المدينة، وهي ترفع رايتي
لا رايةٌ بيضاء في بيروت
شكراً للذي يحمي المدينة من رحيلي
للَّتي مدت ضفيرتها لتحملني إلى سفني الأخيرهْ
–أين تذهبُ؟
ليس لي بابٌ لأفتحَهُ لفارسيَ الأخيرْ
–والسبتُ أسودُ
ليس لي قلبٌ لأخلعَهُ على قدميكَ يا ولدي الصغيرْ
أنا لا أودِّع، بل أوزِّع هذه الدنيا
على الزَّبد الأخيرْ
–وأين تذهبُ؟
أينما حَطَّتْ طيورُ البحرِ في البحرِ الكبيرِ.
البحرُ دهشتنا هشاشتُنا
وغربتُنا ولعبتُنا

والبحرُ أرضُ ندائنا المستأصلَهْ
والبحرُ صُورَتُنَا
ومَنْ لا بَرَّ لَهْ
لا بَحْرَ لَهْ...
.....بحرٌ أمامكَ فيكَ بحرٌ من ورائكَ.
فوق هذا البحر بحرٌ، تحتهُ بحرٌ
وأنت نشيدُ هذا البحرِ....
كمْ كنا نحبُ الأزرقَ الكحليَّ لولا ظلنا المكسور فوق البحرِ
كمْ كنا نُعِدُّ لشهرِ أيلولَ الولائمَ.
عَمَّ تبحث يا فتىً في زورقِ الأوديسةِ المكسورِ؟
عن جيشٍ يحاربني و يهزمني فانطق بالحقيقة ثم أسأل:هل
أكونُ مدينةَ الشعراءِ يوماً؟
عَمَّ تبحث يا فتىً في زورق الأوديسةِ المكسورِ؟
عن جيش أحاربهُ واهزمهُ
وعن جُزرٍ تُسميها فتوحاتي، وأسال:هل تكون مدينةُ الشعراءِ
وَهْمَا؟
عَمَّ تبحث يا فتىً في زورق الأوديسةِ المكسورِ عَمَّ؟
عن موجةٍ ضيعتها في البحرِ
عن خاتَمْ
لأسيِّجَ العالمْ
بحدود أغنيتي
وهل يجدُ المهاجر موجةً؟
يجد المهاجر موجةً غرقتْ ويُرجعها مَعَهْ
بحر لتسكن أم تضيعْ
بحر لأيلولَ الجديدِ أم الرجوع إلى الفصول الأربعهْ
بحر أمامك فيك بحرٌ من ورائكَ.
تفتح الموجَ القديمَ:وُلدتُ قرب البحر من أمٍّ فلسطينيةٍ
وأبٍ آراميٍّ. ومن أمٍّ فلسطينيةٍ وأبٍ مؤآبيٍّ. ومن أمٍّ فلسطينيةٍ
وأبٍ أشوريٍّ.ومنْ أمٍّ فلسطينيةٍ وأبٍ عروبيٍّ.ومن أمٍّ
ومن أمٍّ ....على حجر يُقَيِّدُ فوقه الرومانُ أسرى حربهم

ويُحررون جمالهم مني...
أنا الحجر الذي شدَّ البحار إلى قُرون اليابسهْ
وأنا نبيُّ الأنبياءِ
وشِاعرُ الشعراءِ
منذ رسائل المصريِّ في الوادي إلى أشلاء طفل في شاتيلا.
أنا أوَّلُ القتلى وآخر مَنْ يموتْ.
إنجيلُ أعدائي وتوراةُ الوصايا اليائسهْ
كُتِبَتْ على جسدي
أنا ألفٌ و باءٌ في كتاب الرسم
يشبهني ويقتلني سوايْ
كلُّ الشعوب تعوَّدَتْ أن تدفن الموتى بأضلاعي
وتبني معبداً فيها
وترحلُ عن ثرايْ
و أنا أضيقُ أمام مملكتي
وَتَتَّسِعُ الممالك فيَّ
يسكنني ويقتلني سوايْ.
كل الشعوب تزوَّجت أمي
و أمي لم تكن إلاَّ لأمي
خصرها بحرٌ. ذراعاها سحابٌ يابسٌ
ونُعاسُها مطرٌ ونايْ.
وأنا أفيض أمام أغنيتي
وتحبسني خناجرها
يؤاخيني ويقتلني سوايْ.
....وأنا نشيدُ البحرِ.
لا أرضى بما يرضي دَمَ الإغريقِ من ريحٍ تهبُّ لتنتهي المأساةُ
وبالمأساة.قد ذبحوك كي يجدوك كرسيَّاً فلا تجلسْ
لأن جميع آلهتي كلابُ البحرِ
فاحذرها ولا تذهب إلى القربانِ...
إن الريح واقفةكخازوقٌ
فلا تلمسْ يدَ القرصانِ

لا تصعد إلى تلك المعابدِ
لا تصدِّقْ
لا تصدِّقْ
فهي مذبحةٌ
ولا تخمد هجيرك عندما يتقمَّص السجَّانُ شكل الكاهنِ
الرسميِّ
إنَّ جميع آلهتي كلابُ البحرِ
فاحذرْها.
ودَعْ ...دَعْ كلَّ شيء واقفاً
دَعْ كُل ما ينهارُ منهاراً
ولا تقرأ عليهم أيَّ شيءٍ من كتابكْ!..
والبحرُ أبيضُ
والسماءُ
قصيدتي بيضاءُ
والتمساحُ أبيضُ
والهواءُ
وفكرتي بيضاءُ
كلبُ البحر أبيضُ
كل شيء أبيضٌ:
بيضاءُ دهشتُنا
بيضاءُ ليلتُنا
وخطوتنا
وهذا الكونُ أبيضُ
أصدقائي
والملائكةُ الصغارُ
وصورة الأعداءِ
أبيضُ، كل شيء صورةُ بيضاءُ. هذا البحرُ، ملء البحرِ
أبيضُ...
****
لستَ آدمَ كي أقول خرجتَ من بيروت منتصراً على الدنيا
ومنهزماً أمام الله.

أنت المسألهْ
الأرضُ إعلانٌ على جدران هذا الكون
حَبَّةُ سُمْسُمٍ، قتلاكَ
والباقي سدى
فاعطِ المدى
إسم العيونِ المهملَهْ
لك أن تكون – ولا تكونْ
لك أن تُكَوِّنْ
أو لا تُكَوِّنْ..
كل أسئلة الوجودِ وراء ظِلِّكَ مهزلهْ.
والكونُ دفترك الصغيرُ
وأنت خالقُهُ
فدوِّنْ فيه فردوس البداية، يا أبي..
أو لا تُدَوِّنْ
أنت..أنتَ المسألهْ.
ماذا تريدُ؟
وأنت من أُسطورةٍ تمشي إلى أُسطورةٍ
عَلماً؟
وماذا تنفع الأعلام..
هل حَمَتِ المدينَةَ من شظايا قنبُلَهْ؟.
ماذا تريدُ؟
جريدةً؟
أتفقِّسُ الأوراقُ دُوريّاً
وتغزل سنبُله؟
ماذا تريدُ؟
أَشُرطَةً؟
هل يعرف البوليسُ أين ستحبل الأرضُ الصغيرةُ بالرياح
المُقْبلَهْ؟
ماذا تريدُ؟
سيادةً فوق الرمادِ؟

وأنت سَيِّدُ رُوحِنَا يا سَيِّد الكينونَةِ المتحوِّلَهْ.
فاذهب..
فليسَ لك المكانُ و لا العروش / المزبلهْ.
حُرّيَّةُ التكوين أنتَ
وخالقُ الطرقاتِ أنتَ
وأنت عكسُ المرحلهْ.
واذهب فقيرا كالصلاةِ
وحافيا كالنهر في درب الحصى
ومُؤَجَّلاً كقرنفله ْ.
لا، لست آدم كي أقول خرجتَ من بيروت أو عَمَّانَ أو
يافا، وأنت المسألهْ.
فأذهب إليكَ، فأنتَ أوسعُ من بلاد الناسِ، أوسعُ من فضاء
المقصله
مستسلما لصواب قلبكَ
تخلع المدنَ الكبيرةَ والسماءَ المسدلَهْ
وتمدُّ أرضاً تحت راحتك الصغيرة
خيمةً
أو فكرةً
أو سنبلهْ.
كمْ من نبيٍّ فيك جَرَّبَ
كم تعذَّب كي يُرَتِّبَ هيكلهْ.
عبثاً تحاول يا أبي مُلْكَاً ومَمْلَكَةً
فَسِرْ للجُلْجُلَهْ
واصعدْ معي
لنعيدَ للروح المشرَّد أوَّلَهْ
ماذا تريد، وأنت سَيِّدُ روحنا
يا سَيِّدَ الكينونة المتحوِّلَهْ؟
يا سَيِّدَ الجمرهْ
يا سَيِّدَ الشعلهْ
ما أوسع الثورهْ
ما أضيقَ الرحلهْ

ما أكبرَ الفكرهْ
ما أصغرَ الدولهْ!....

الجدارية...

هذا هُوَ اسمُكَ/
قالتِ امرأةٌ،
وغابتْ في المَمَرِّ اللولبيِّ...
أرى السماءَ هُنَاكَ في مُتَناوَلِ الأَيدي.
ويحملُني جناحُ حمامةٍ بيضاءَ صَوْبَ
طُفُولَةٍ أَخرى. ولم أَحلُمْ بأني
كنتُ أَحلُمُ. كُلُّ شيءٍ واقعيٌّ. كُنْتُ
أَعلَمُ أَنني أُلْقي بنفسي جانباً...
وأَطيرُ. سوف أكونُ ما سأَصيرُ في
الفَلَك الأَخيرِ.

وكُلُّ شيء أَبيضُ،
البحرُ المُعَلَّقُ فوق سقف غمامةٍ
بيضاءَ. واللَّلا شيء أَبيضُ في
سماء المُطْلَق البيضاءِ. كُنْتُ، ولم
أَكُنْ. فأنا وحيدٌ في نواحي هذه
الأَبديَّة البيضاء. جئتُ قُبَيْل ميعادي
فلم يَظْهَرْ ملاكٌ واحدٌ ليقول لي:
((ماذا فعلتَ، هناك، في الدنيا؟))
ولم أَسمع هُتَافَ الطيِّبينَ، ولا
أَنينَ الخاطئينَ، أَنا وحيدٌ في البياض،
أَنا وحيدُ...

لاشيء يُوجِعُني على باب القيامةِ.

لا الزمانُ ولا العواطفُ. لا
أُحِسُّ بخفَّةِ الأشياء أَو ثِقَلِ
الهواجس. لم أَجد أَحداً لأسأل:
أَين ((أَيْني)) الآن؟ أَين مدينةُ
الموتى، وأَين أَنا؟ فلا عَدَمٌ
هنا في اللا هنا ... في اللازمان،
ولا وُجُودُ

وكأنني قد متُّ قبل الآن...
أَعرفُ هذه الرؤيا، وأَعرفُ أَنني
أَمضي إلى ما لَسْتُ أَعرفُ. رُبَّما
ما زلتُ حيّاً في مكانِ ما، وأَعرفُ
ما أُريدُ...
سأصيرُ يوماً ما أُريدُ

سأَصيرُ يوماً فكرةً. لا سَيْفَ يحملُها
إلى الأرضِ اليبابِ، ولا كتابَ...
كأَنَّها مَطَرٌ على جَبَلٍ تَصَدَّعَ من
تَفَتُّحِ عُشْبَةٍ،
لا القُوَّةُ انتصرتْ
ولا العَدْلُ الشريدُ

سأَصير يوماً ما أُريدُ

سأصير يوماً طائراً، وأَسُلُّ من عَدَمي
وجودي. كُلَّما احتَرقَ الجناحانِ
اقتربتُ من الحقيقةِ، وانبعثتُ من
الرمادِ. أَنا حوارُ الحالمين، عَزَفْتُ

عن جَسَدي وعن نفسي لأُكْمِلَ
رحلتي الأولى إلى المعنى، فأَحْرَقَني
وغاب. أنا الغيابُ. أنا السماويُّ
الطريدُ.
سأَصير يوماً ما أُريدُ
سأَصير يوماً كرمةً،
فَلْيَعْتَصِرني الصيفُ منذ الآن،
وليشربْ نبيذي العابرون على
ثُرَيَّات المكان السُكَّريِّ!
أَنا الرسالةُ والرسولُ
أَنا العناوينُ الصغيرةُ والبريدُ
سأَصير يوماً ما أُريدُ
هذا هُوَ اسمُكَ/
قالتِ امرأةٌ،
وغابتْ في مَمَرٍّ بياضها.
هذا هُوَ اسمُكَ، فاحفظِ اسْمَكَ جَيِّداً!
لا تختلفْ مَعَهُ على حَرْفٍ
ولا تَعْبَأْ برايات القبائلِ،
كُنْ صديقاً لاسمك الأُفُقِيِّ
جَرِّبْهُ مع الأحياء والموتى
ودَرِّبْهُ على النُطْق الصحيح برفقة الغرباء
واكْتُبْهُ على إحدى صُخُور الكهف،
يااسمي: سوف تكبَرُ حين أَكبَرُ
سوف تحمِلُني وأَحملُكَ
الغريبُ أَخُ الغريب
سنأخُذُ الأُنثى بحرف العِلَّة المنذور للنايات
يا اسمي: أَين نحن الآن؟
قل: ما الآن، ما الغَدُ؟
ما الزمانُ وما المكانُ
وما القديمُ وما الجديدُ؟

سنكون يوماً ما نريدُ
لا الرحلةُ ابتدأتْ، ولا الدربُ انتهى
لم يَبْلُغ الحكماءُ غربتَهُمْ
كما لم يَبْلُغ الغرباءُ حكمتَهمْ
ولم نعرف من الأزهار غيرَ شقائقِ النعمانِ،
فلنذهب إلى أعلى الجداريات:
أَرضُ قصيدتي خضراءُ، عاليةٌ،
كلامُ الله عند الفجر أَرضُ قصيدتي
وأَنا البعيدُ
أَنا البعيدُ
في كُلِّ ريح تَعْبَثُ امرأةٌ بشاعرها
–خُذِ الجهةَ التي أَهديتني
الجهةَ التي انكَسَرتْ،
وهاتِ أُنوثتي،
لم يَبْقَ لي إلاّ التَأَمُّلُ في
تجاعيد البُحَيْرَة. خُذْ غدي عنِّي
وهاتِ الأمس، واتركنا معاً
لا شيءَ، بعدَكَ، سوف يرحَلُ
أَو يَعُودُ
–وخُذي القصيدةَ إن أَردتِ
فليس لي فيها سواكِ
خُذي ((أَنا)) كِ. سأُكْملُ المنفى
بما تركَتْ يداكِ من الرسائل لليمام.
فأيُّنا منا ((أَنا)) لأكون آخرَها؟
ستسقطُ نجمةٌ بين الكتابة والكلام
وتَنْشُرُ الذكرى خواطرها: وُلِدْنا
في زمان السيف والمزمار بين
التين والصُبَّار. كان الموتُ أَبطأَ.
كان أَوْضَح. كان هُدْنَةَ عابرين
على مَصَبِّ النهر. أَما الآن،

فالزرُّ الإلكترونيُّ يعمل وَحْدَهُ. لا
قاتلٌ يُصْغي إلى قتلى. ولا يتلو
وصيَّتَهُ شهيدُ
من أيِّ ريح جئتِ؟
قولي ما اسمُ جُرْحِكِ أَعرفِ
الطُرُقَ التي سنضيع فيها مَرّتيْنِ!
وكُلُّ نَبْضٍ فيكِ يُوجعُني، ويُرْجِعُني
إلى زَمَنِ خرافيّ. ويوجعني دمي
والملحُ يوجعني ... ويوجعني الوريدُ
في الجرّة المكسورةِ انتحبتْ نساءُ
الساحل السوريّ من طول المسافةِ،
واحترقْنَ بشمس آبَ. رأيتُهنَّ على
طريق النبع قبل ولادتي. وسمعتُ
صَوْتَ الماء في الفخّار يبكيهنّ:
عُدْنَ إلى السحابة يرجع الزَمَنُ الرغيدُ
قال الصدى:
لاشيء يرجعُ غيرُ ماضي الأقوياء
على مِسلاَّت المدى ... [ذهبيّةٌ آثارُهُمْ
ذهبيّةٌ] ورسائلِ الضعفاءِ للغَدِ،
أَعْطِنا خُبْزَ الكفاف، وحاضراً أَقوى.
فليس لنا التقمُّصُ والحُلُولُ ولا الخُلُودُ
قال الصدى:
وتعبتُ من أَملي العُضَال. تعبتُ
من شَرَك الجماليّات: ماذا بعد
بابلَ؟ كُلَّما اتَّضَحَ الطريقُ إلى
السماء، وأَسْفَرَ المجهولُ عن هَدَفٍ
نهائيّ تَفَشَّى النثرُ في الصلوات،
وانكسر النشيدُ
خضراءُ، أَرضُ قصيدتي خضراءُ عاليةٌ...
تُطِلُّ عليَّ من بطحاء هاويتي...

غريبٌ أَنتَ في معناك. يكفي أَن
تكون هناك، وحدك، كي تصيرَ
قبيلةً...
غَنَّيْتُ كي أَزِنَ المدى المهدُورَ
في وَجَع الحمامةِ،
لا لأَشْرَحَ ما يقولُ اللهُ للإنسان،
لَسْتُ أَنا النبيَّ لأَدَّعي وَحْياً
وأُعْلِنَ أَنَّ هاويتي صُعُودُ
وأَنا الغريب بكُلِّ ما أُوتيتُ من
لُغَتي. ولو أخضعتُ عاطفتي بحرف
الضاد، تخضعني بحرف الياء عاطفتي،
وللكلمات وَهيَ بعيدةٌ أَرضٌ تُجاوِرُ
كوكباً أَعلى. وللكلمات وَهيَ قريبةٌ
منفى. ولا يكفي الكتابُ لكي أَقول:
وجدتُ نفسي حاضراً مِلْءَ الغياب.
وكُلَّما فَتَّشْتُ عن نفسي وجدتُ
الآخرين. وكُلَّما فتَّشْتُ عَنْهُمْ لم
أَجد فيهم سوى نَفسي الغريبةِ،
هل أَنا الفَرْدُ الحُشُودُ؟
وأَنا الغريبُ. تَعِبْتُ من " درب الحليب"
إلى الحبيب. تعبتُ من صِفَتي.
يَضيقُ الشَّكْلُ. يَتّسعُ الكلامُ. أُفيضُ
عن حاجات مفردتي. وأَنْظُرُ نحو
نفسي في المرايا:
هل أَنا هُوَ؟
هل أُؤدِّي جَيِّداً دَوْرِي من الفصل
الأخير؟
وهل قرأتُ المسرحيَّةَ قبل هذا العرض،
أَم فُرِضَتْ عليَّ؟
وهل أَنا هُوَ من يؤدِّي الدَّوْرَ

أَمْ أَنَّ الضحيَّة غَيَّرتْ أَقوالها
لتعيش ما بعد الحداثة، بعدما
انْحَرَفَ المؤلّفُ عن سياق النصِّ
وانصرَفَ المُمَثّلُ والشهودُ؟
وجلستُ خلف الباب أَنظُرُ:
هل أَنا هُوَ؟
هذه لُغَتي. وهذا الصوت وَخْزُ دمي
ولكن المؤلِّف آخَرٌ...
أَنا لستُ مني إن أَتيتُ ولم أَصِلْ
أَنا لستُ منِّي إن نَطَقْتُ ولم أَقُلْ
أَنا مَنْ تَقُولُ له الحُروفُ الغامضاتُ:
اكتُبْ تَكُنْ!
واقرأْ تَجِدْ!
وإذا أردْتَ القَوْلَ فافعلْ، يَتَّحِدْ
ضدَّاكَ في المعنى...
وباطِنُكَ الشفيفُ هُوَ القصيدُ
بَحَّارَةٌ حولي، ولا ميناء
أَفرغني الهباءُ من الإشارةِ والعبارةِ،
لم أَجد وقتاً لأعرف أَين مَنْزِلَتي،
الهُنَيْهةَ، بين مَنْزِلَتَيْنِ. لم أَسأل
سؤالي، بعد، عن غَبَش التشابُهِ
بين بابَيْنِ: الخروج أم الدخول...
ولم أَجِدْ موتاً لأقْتَنِصَ الحياةَ.
ولم أَجِدْ صوتاً لأَصرخَ: أَيُّها
الزَمَنُ السريعُ! خَطَفْتَني مما تقولُ
لي الحروفُ الغامضاتُ:
ألواقعيُّ هو الخياليُّ الأَكيدُ
يا أيها الزَمَنُ الذي لم ينتظِرْ...
لم يَنْتَظِرْ أَحداً تأَخَّر عن ولادتِهِ،

دَع الماضي جديداً، فَهْوَ ذكراكَ
الوحيدةُ بيننا، أيَّامَ كنا أَصدقاءك،
لا ضحايا مركباتك. واترُكِ الماضي
كما هُوَ، لا يُقَادُ ولا يَقُودُ
ورأيتُ ما يتذكَّرُ الموتى وما ينسون...
هُمْ لا يكبرون ويقرأون الوَقْتَ في
ساعات أيديهمْ. وَهُمْ لايشعرون
بموتنا أَبداً ولا بحياتهِمْ. لا شيءَ
ممَّا كُنْتُ أو سأكونُ. تنحلُّ الضمائرُ
كُلُّها. " هو " في " أنا " في " أَنت" .
لا كُلٌّ ولاجُزْءٌ. ولا حيٌّ يقول
لميِّتٍ: كُنِّي!
..وتنحلُّ العناصرُ والمشاعرُ. لا
أَرى جَسَدي هُنَاكَ، ولا أُحسُّ
بعنفوان الموت، أَو بحياتيَ الأُولى.
كأنِّي لَسْتُ منّي. مَنْ أَنا؟ أَأَنا
الفقيدُ أَم الوليدُ؟
الوقْتُ صِفْرٌ. لم أُفكِّر بالولادة
حين طار الموتُ بي نحو السديم،
فلم أكُن حَيّاً ولا مَيْتاً،
ولا عَدَمٌ هناك، ولا وُجُودُ
تقولُ مُمَرِّضتي: أَنتَ أَحسَنُ حالاً .
وتحقُنُني بالمُخَدِّر: كُنْ هادئاً
وجديراً بما سوف تحلُمُ
عما قليل...
رأيتُ طبيبي الفرنسيَّ
يفتح زنزانتي
ويضربني بالعصا
يُعَاونُهُ اثنانِ من شُرْطة الضاحيةْ

رأيتُ أَبي عائداً
من الحجِّ، مُغمىً عليه
مُصَاباً بضربة شمسٍ حجازيّة
يقول لرفِّ ملائكةٍ حَوْلَهُ:
أَطفئوني!...
رأيتُ شباباً مغاربةً
يلعبون الكُرَةْ
ويرمونني بالحجارة: عُدْ بالعبارةِ
واترُكْ لنا أُمَّنا
يا أَبانا الذي أخطَأَ المقبرةْ!
رأيت " ريني شار"
يجلس مع " هيدغر"
على بُعْدِ مترين منِّي،
رأيتهما يشربان النبيذَ
ولا يبحثان عن الشعر...
كان الحوار شُعَاعاً
وكان غدٌ عابرٌ ينتظرْ
رأيتُ رفاقي الثلاثَةَ ينتحبونَ
وَهُمْ
يَخيطونَ لي كَفَناً
بخُيوطِ الذَّهَبْ
رأيت المعريَّ يطرد نُقَّادَهُ
من قصيدتِهِ:
لستُ أَعمى
لأُبْصِرَ ما تبصرونْ،
فإنَّ البصيرةَ نورٌ يؤدِّي
إلى عَدَم .... أَو جُنُونْ
رأيتُ بلاداً تعانقُني
بأَيدٍ صَبَاحيّة: كُنْ

جديراً برائحة الخبز. كُنْ
لائقاً بزهور الرصيفْ
فما زال تَنُّورُ أُمِّكَ
مشتعلاً،
والتحيَّةُ ساخنةً كالرغيفْ!
خضراءُ، أَرضُ قصيدتي خضراءُ. نهرٌ واحدٌ يكفي لأهمس للفراشة: آهِ، يا أُختي، ونَهْرٌ واحدٌ يكفي لإغواءِ الأساطير القديمة بالبقاء على جِناح الصَّقْر، وَهْوَ يُبَدِّلُ الراياتِ والقممَ البعيدةَ، حيث أَنشأتِ الجيوشُ ممالِكَ النسيان لي. لاشَعْبَ أَصْغَرُ من قصيدته. ولكنَّ السلاحَ يُوَسِّعُ الكلمات للموتى وللأحياء فيها، والحُرُوفَ تُلَمِّعُ السيفَ المُعَلَّقَ في حزام الفجر، والصحراء تنقُصُ بالأغاني، أَو تزيدُ
لاعُمْرَ يكفي كي أَشُدَّ نهايتي لبدايتي
أَخَذَ الرُّعَاةُ حكايتي وتَوَغَّلُوا في العشب فوق مفاتن الأنقاض، وانتصروا على النسيان بالأَبواق والسَّجَع المشاع، وأَورثوني بُحَّةَ الذكرى على حَجَرِ الوداع، ولم يعودوا...
رَعَويَّةٌ أَيَّامنا رَعَويَّةٌ بين القبيلة والمدينة، لم أَجد لَيْلاً خُصُوصِيّاً لهودجِكِ المُكَلَّلِ بالسراب، وقلتِ لي:
ما حاجتي لاسمي بدونكَ؟ نادني، فأنا خلقتُكَ
عندما سَمَّيْتَني، وقتلتَني حين امتلكتَ الاسمَ...
كيف قتلتَني؟ وأَنا غريبةُ كُلِّ هذا الليل، أَدْخِلْني
إلى غابات شهوتك، احتضنِّي واعْتَصِرْني،
واسفُك العَسَلَ الزفافيَّ النقيَّ على قفير النحل.
بعثرني بما ملكتْ يداك من الرياح ولُمَّني.
فالليل يُسْلِمُ روحَهُ لك يا غريبُ، ولن تراني نجمةٌ
إلاّ وتعرف أَنَّ عائلتي ستقتلني بماء اللازوردِ،
فهاتِني ليكونَ لي - وأَنا أُحطِّمُ جَرَّتي بيديَّ-

حاضِريَ السعيدُ
–هل قُلْتَ لي شيئاً يُغَيِّر لي سبيلي؟
–لم أَقُلْ. كانت حياتي خارجي
أَنا مَنْ يُحَدِّثُ نفسَهُ:
وَقَعَتْ مُعَلَّقتي الأَخيرةُ عن نخيلي
وأَنا المُسَافِرُ داخلي
وأَنا المُحَاصَرُ بالثنائياتِ،
لكنَّ الحياة جديرَةٌ بغموضها
وبطائرِ الدوريِّ...
لم أُولَدْ لأَعرفَ أَنني سأموتُ، بل لأُحبَّ محتوياتِ ظلِّ
اللهِ
يأخُذُني الجمالُ إلى الجميلِ
وأُحبُّ حُبَّك، هكذا متحرراً من ذاتِهِ وصفاتِهِ
وإنا بديلي...
أَنا من يُحَدِّثُ نَفْسَهُ:
مِنْ أَصغر الأشياءِ تُولَدُ أكبرُ الأفكار
والإيقاعُ لا يأتي من الكلمات،
بل مِنْ وحدة الجَسَدَيْنِ
في ليلٍ طويلٍ...
أَنا مَنْ يحدِّثُ نَفْسَهُ
ويروِّضُ الذكرى ... أَأَنتِ أَنا؟
وثالثُنا يرفرف بيننا " لا تَنْسَيَاني دائماً"
يا مَوْتَنا! خُذْنَا إليكَ على طريقتنا، فقد نتعلَّمُ الإشراق...
لا شَمْسٌ ولا قَمَرٌ عليَّ
تركتُ ظلِّي عالقاً بغصون عَوْسَجَةٍ
فخفَّ بيَ المكانُ
وطار بي روحي الشَّرُودُ
أَنا مَنْ يحدِّثُ نفسَهُ:

يا بنتُ: ما فَعَلَتْ بكِ الأشواقُ؟
إن الريح تصقُلُنا وتحملنا كرائحة الخريفِ،
نضجتِ يا امرأتي على عُكَّازَتيَّ،
بوسعك الآن الذهابُ على " طريق دمشق"
واثقةً من الرؤيا. مَلاَكٌ حارسٌ
وحمامتان ترفرفان على بقيَّة عمرنا، والأرضُ عيدُ...
الأرضُ عيدُ الخاسرين ونحن منهُمْ
نحن من أَثَرِ النشيد الملحميِّ على المكان، كريشةِ النَّسْرِ
العجوز خيامُنا في الريح. كُنَّا طيِّبين وزاهدين بلا تعاليم
المسيح. ولم نكُنْ أقوى من الأعشابِ إلاّ في ختام
الصَيْفِ،
أَنتِ حقيقتي، وأَنا سؤالُكِ
لم نَرِثْ شيئاً سوى اسْمَيْنَا
وأَنتِ حديقتي، وأَنا ظلالُكِ
عند مفترق النشيد الملحميِّ...
ولم نشارك في تدابير الإلهات اللواتي كُنَّ يبدأن النشيد
بسحرهنَّ وكيدهنَّ. وكُنَّ يَحْمِلْنَ المكانَ على قُرُون
الوعل من زَمَنِ المكان إلى زمان آخرٍ...
كنا طبيعيِّين لو كانت نجومُ سمائنا أَعلى قليلاً من
حجارة بئرنا، والأَنبياءُ أَقلَّ إلحاحاً، فلم يسمع مدائحَنا
الجُنُودُ...
خضراءُ، أرضُ قصيدتي خضراءُ
يحملُها الغنائيّون من زَمَنٍ إلى زَمَنٍ كما هِيَ في
خُصُوبتها.
ولي منها: تأمُّلُ نَرْجسٍ في ماء صُورَتِهِ
ولي منها وُضُوحُ الظلِّ في المترادفات
ودقَّةُ المعنى...
ولي منها: التَّشَابُهُ في كلام الأَنبياءِ

على سُطُوح الليلِ
لي منها: حمارُ الحكمةِ المنسيُّ فوق التلِّ
يسخَرُ من خُرافتها وواقعها...
ولي منها: احتقانُ الرمز بالأضدادِ
لا التجسيدُ يُرجِعُها من الذكرى
ولا التجريدُ يرفَعُها إلى الإشراقة الكبرى
ولي منها: " أنا " الأُخرى
تُدَوِّنُ في مُفَكِّرَة الغنائيِّين يوميَّاتها:
إن كان هذا الحُلْمُ لا يكفي
فلي سَهَرٌ بطوليٌّ على بوابة المنفى...
ولي منها: صَدَى لُغتي على الجدران
يكشِطُ مِلْحَهَا البحريَّ
حين يخونني قَلْبٌ لَدُودُ...
أَعلى من الأَغوار كانت حكمتي
إذ قلتُ للشيطان: لا. لا تَمْتَحِنِّي!
لا تَضَعْني في الثُّنَائيّات، واتركني
كما أَنا زاهداً برواية العهد القديم
وصاعداً نحو السماء، هُنَاكَ مملكتي
خُذِ التاريخَ، يا ابنَ أَبي، خُذِ
التاريخَ ... واصنَعْ بالغرائز ما تريدُ
وَلِيَ السكينةُ. حَبَّةُ القمح الصغيرةُ
سوف تكفينا، أَنا وأَخي العَدُوّ،
فساعتي لم تَأْتِ بَعْدُ. ولم يَحِنْ
وقتُ الحصاد. عليَّ أَن أَلِجَ الغيابَ
وأَن أُصدِّقَ أَوَّلاً قلبي وأتبعَهُ إلى
قانا الجليل. وساعتي لم تأتِ بَعْدُ.
لَعَلَّ شيئاً فيَّ ينبُذُني. لعلِّي واحدٌ
غيري. فلم تنضج كُرومُ التين حول
ملابس الفتيات بَعْدُ. ولم تَلِدْني
ريشةُ العنقاء. لا أَحَدٌ هنالك

في انتظاري. جئْتُ قبل، وجئتُ
بعد، فلم أجد أحداً يُصَدِّق ما
أرى. أنا مَنْ رأى. وأَنا البعيدُ
أَنا البعيدُ
مَنْ أَنتَ، يا أَنا؟ في الطريقِ
اثنانِ نَحْنُ، وفي القيامة واحدٌ.
خُذْني إلى ضوء التلاشي كي أَرى
صَيْرُورتي في صُورَتي الأُخرى. فَمَنْ
سأكون بعدَكَ، يا أَنا؟ جَسَدي
ورائي أم أَمامَكَ؟ مَنْ أَنا يا
أَنت؟ كَوِّنِّي كما كَوَّنْتُكَ، ادْهَنِّي
بزيت اللوز، كَلِّلني بتاج الأرز.
واحملني من الوادي إلى أَبديّةٍ
بيضاءَ. عَلِّمني الحياةَ على طريقتِكَ،
اختَبِرْني ذَرَّةً في العالم العُلْوِيِّ.
ساعِدْني على ضَجَر الخلود، وكُنْ
رحيماً حين تجرحني وتبزغ من
شراييني الورودُ...
لم تـأت سـاعـتُنا. فـلا رُسُـلٌ يَـقِـيسُـونَ
الزمانَ بقبضة العشب الأخير. هل استدار؟ ولا ملائكةٌ
يزورون المكانَ ليتركَ الشعراءُ ماضِيَهُمْ على الشَّفَق
الجميل، ويفتحوا غَدَهُمْ بأيديهمْ.
فغنِّي يا إلهتيَ الأثيرةَ، ياعناةُ،
قصيدتي الأُولى عن التكوين ثانيةً...
فقد يجدُ الرُّوَاةُ شهادةَ الميلاد
للصفصاف في حَجَرٍ خريفيّ. وقد يجدُ
الرعاةُ البئرَ في أَعماق أُغنية. وقد
تأتي الحياةُ فجاءةً للعازفين عن
المعاني من جناح فراشةٍ عَلِقَتْ
بقافيةٍ، فغنِّي يا إلهتيَ الأَثيرةَ

يا عناةُ، أَنا الطريدةُ والسهامُ،
أَنا الكلامُ. أَنا المؤبِّنُ والمؤذِّنُ
والشهيدُ
ما قلتُ للطَّلَلِ: الوداع. فلم أَكُنْ
ما كُنْتُ إلاّ مَرَّةً. ما كُنْتُ إلاّ
مرَّةً تكفي لأَعرف كيف ينكسرُ الزمانُ
كخيمة البدويِّ في ريح الشمال،
وكيف يَنْفَطِرُ المكانُ ويرتدي الماضي
نُثَارَ المعبد المهجور. يُشبهُني كثيراً
كُلُّ ما حولي، ولم أُشْبِهْ هنا
شيئاً. كأنَّ الأرض ضَيِّقَةٌ على
المرضى الغنائيِّين، أَحفادِ الشياطين
المساكين المجانين الذين إذا رأوا
حُلْماً جميلاً لَقَّنُوا الببغاءَ شِعْر
الحب، وانفتَحتْ أَمامَهُمُ الحُدُودُ...
وأُريدُ أُن أُحيا...
فلي عَمَلٌ على ظهر السفينة. لا
لأُنقذ طائراً من جوعنا أَو من
دُوَارِ البحر، بل لأُشاهِدَ الطُوفانَ
عن كَثَبٍ: وماذا بعد؟ ماذا
يفعَلُ الناجونَ بالأرض العتيقة؟
هل يُعيدونَ الحكايةَ؟ ما البدايةُ؟
ما النهايةُ؟ لم يعد أَحَدٌ من
الموتى ليخبرنا الحقيقة/ ...
أَيُّها الموتُ انتظرني خارج الأرض،
انتظرني في بلادِكَ، ريثما أُنهي
حديثاً عابراً مَعَ ما تبقَّى من حياتي
قرب خيمتكَ، انتظِرْني ريثما أُنهي
قراءةَ طَرْفَةَ بنِ العَبْد. يُغْريني

الوجوديّون باستنزاف كُلِّ هُنَيْهَةٍ
حريةً، وعدالةً، ونبيذَ آلهةٍ/ ...
فيا مَوْتُ! انتظرني ريثما أُنهي
تدابيرَ الجنازة في الربيع الهَشّ،
حيث وُلدتُ، حيث سأمنع الخطباء
من تكرار ما قالوا عن البلد الحزين
وعن صُمُود التينِ والزيتونِ في وجه
الزمان وجيشِهِ. سأقول: صُبُّوني
بحرف النون، حيث تَعُبُّ روحي
سورةُ الرحمن في القرآن. وامشوا
صامتين معي على خطوات أجدادي
ووقع الناي في أزلي. ولا
تَضَعُوا على قبري البنفسجَ، فَهْوَ
زَهْرُ المُحْبَطين يُذَكِّرُ الموتى بموت
الحُبِّ قبل أوانِهِ. وَضَعُوا على
التابوتِ سَبْعَ سنابلٍ خضراءَ إنْ
وُجِدَتْ، وبَعْضَ شقائقِ النُعْمانِ إنْ
وُجِدَتْ. وإلاّ، فاتركوا وَرْدَ
الكنائس للكنائس والعرائس/
أيُّها الموت انتظر! حتى أُعِدَّ
حقيبتي: فرشاةَ أسناني، وصابوني
وماكنة الحلاقةِ، والكولونيا، والثيابَ.
هل المناخُ هُنَاكَ مُعْتَدِلٌ؟ وهل
تتبدَّلُ الأحوالُ في الأبدية البيضاء،
أم تبقى كما هِي في الخريف وفي
الشتاء؟ وهل كتابٌ واحدٌ يكفي
لِتَسْلِيَتي مع اللاَّ وقتِ، أمْ أحتاجُ
مكتبةً؟ وما لُغَةُ الحديث هناك،
دارجةٌ لكُلِّ الناس أم عربيّةٌ

فُصْحى/

..ويا مَوْتُ انتظرْ، ياموتُ،
حتى أستعيدَ صفاءَ ذِهْني في الربيع
وصحّتي، لتكون صيَّاداً شريفاً لا
يَصيدُ الظَّبْيَ قرب النبع. فلتكن العلاقةُ
بيننا وُدّيَّةً وصريحةً: لَكَ أنتَ
مالَكَ من حياتي حين أَملأُها..
ولي منك التأمُّلُ في الكواكب:
لم يَمُتْ أَحَدٌ تماماً، تلك أَرواحٌ
تغيِّر شَكْلَها ومُقَامَها/
يا موت! ياظلِّي الذي
سيقودُني، يا ثالثَ الاثنين، يا
لَوْنَ التردُّد في الزُمُرُّد والزَّبَرْجَدِ،
يا دَمَ الطاووس، يا قَنَّاصَ قلب
الذئب، يا مَرَض الخيال! اجلسْ
على الكرسيّ! ضَعْ أَدواتِ صيدكَ
تحت نافذتي. وعلِّقْ فوق باب البيت
سلسلةَ المفاتيح الثقيلةَ! لا تُحَدِّقْ
يا قويُّ إلى شراييني لترصُدَ نُقْطَةَ
الضعف الأَخيرةَ. أَنتَ أَقوى من
نظام الطبّ. أَقوى من جهاز
تَنَفُّسي. أَقوى من العَسَلِ القويّ،
ولَسْتَ محتاجاً - لتقتلني - إلى مَرَضي.
فكُنْ أَسْمَى من الحشرات. كُنْ مَنْ
أَنتَ، شفَّافاً بريداً واضحاً للغيب.
كن كالحُبِّ عاصفةً على شجر، ولا
تجلس على العتبات كالشحَّاذ أو جابي
الضرائبِ. لا تكن شُرطيّ سَيْرٍ في
الشوارع. كن قويّاً، ناصعَ الفولاذ، واخلَعْ عنك أَقنعةَ

الثعالب. كُنْ
فروسياً، بهياً، كامل الضربات. قُلْ
ماشئْتَ: ((من معنى إلى معنى
أَجيءُ. هِيَ الحياةُ سُيُولَةٌ، وأَنا
أكثِّفُها، أُعرِّفُها بسُلْطاني وميزاني))
ويامَوْتُ انتظرْ، واجلس على
الكرسيّ. خُذْ كأسَ النبيذ، ولا
تفاوِضْني، فمثْلُكَ لا يُفاوِضُ أَيَّ
إنسانٍ، ومثلي لا يعارضُ خادمَ
الغيبِ. استرح ... فَلَرُبَّما أَنْهكْتَ هذا
اليوم من حرب النجوم. فمن أَنا
لتزورني؟ أَلَدَيْكَ وَقْتٌ لاختبار
قصيدتي. لا. ليس هذا الشأنُ
شأنَكَ. أَنت مسؤولٌ عن الطينيِّ في
البشريِّ، لا عن فِعْلِهِ أو قَوْلِهِ/
هَزَمَتْكَ يا موتُ الفنونُ جميعُها.
هزمتك يا موتُ الأغاني في بلاد
الرافدين. مِسَلَّةُ المصريّ، مقبرةُ الفراعنةِ،
النقوشُ على حجارة معبدٍ هَزَمَتْكَ
وانتصرتْ، وأَفْلَتَ من كمائنك
الخُلُودُ...
فاصنع بنا، واصنع بنفسك ما تريدُ
وأَنا أُريدُ، أريدُ أَن أَحيا...
فلي عَمَلٌ على جغرافيا البركان.
من أَيام لوط إلى قيامة هيروشيما
والبِابُ هو البِابُ. كأنني أَحيا
هنا أَبداً، وبي شَبَقٌ إلى ما لست
أَعرف. قد يكون " الآن " أَبعَدَ.
قد يكونُ الأمس أَقربَ. والغَدُ الماضي.

ولكني أَشدُّ " الآن " من يَدِهِ ليعبُرَ
قربيَ التاريخُ، لا الزَّمَنُ المُدَوَّرُ،
مثل فوضى الماعز الجبليِّ. هل
أنجو غداً من سرعة الوقت الإلكترونيّ،
أَم أَنجو غداً من بُطْء قافلتي
على الصحراء؟ لي عَمَلٌ لآخرتي
كأني لن أَعيش غداً. ولي عَمَلٌ ليوم
حاضر أَبداً. لذا أُصغي، على مَهَلٍ
على مَهَل، لصوت النمل في قلبي:
أعينوني على جَلَدي. وأَسمع صَرْخَةَ
الحَجَر الأسيرةَ: حَرِّروا جسدي. وأُبصرُ
في الكمنجة هجرةَ الأشواق من بَلَدٍ
تُرَابيّ إلى بَلَدٍ سماويّ. وأَقبضُ في
يد الأُنثى على أَبَدِي الأليفِ: خُلِقتُ
ثم عَشِقْتُ، ثم زهقت، ثم أَفقتُ
في عُشْبٍ على قبري يدلُّ عليَّ من
حينٍ إلى حينِ. فما نَفْعُ الربيع
السمح إن لم يُؤْنِس الموتى ويُكْمِلْ
بعدهُمْ فَرَحَ الحياةِ ونَضْرةَ النسيان؟
تلك طريقةٌ في فكِّ لغز الشعرِ،
شعري العاطفيّ على الأَقلِّ. وما
المنامُ سوى طريقنا الوحيدة في الكلام/
وأَيُّها الموتُ التَبِسْ واجلسْ
على بلَّوْرِ أَيامي، كأَنَّكَ واحدٌ من
أَصدقائي الدائمين، كأَنَّكَ المنفيُّ بين
الكائنات. ووحدك المنفيُّ. لا تحيا
حياتَكَ. ما حياتُكَ غير موتي. لا
تعيش ولا تموت. وتخطف الأطفالَ
من عَطَشِ الحليب إلى الحليب. ولم
تكن طفلاً تهزُّ له الحساسينُ السريرَ،

ولم يداعِبْكَ الملائكةُ الصغارُ ولا
قُرونُ الأيِّل الساهي، كما فَعَلَتْ لنا
نحن الضيوفَ على الفراشة. وحدك
المنفيُّ، يا مسكين، لا امرأةٌ تَضُمُّك
بين نهديها، ولا امرأةٌ تقاسِمُك
الحنين إلى اقتصاد الليل باللفظ الإباحيِّ
المرادفِ لاختلاط الأرض فينا بالسماءِ.
ولم تَلِدْ وَلَداً يجيئك ضارعاً: أبتي،
أُحبُّكَ. وحدك المنفيُّ، يا مَلِكَ
الملوك، ولا مديحَ لصولجانكَ. لا
صُقُورَ على حصانك. لا لآلئَ حول
تاجك. أيُّها العاري من الرايات
والبُوق المُقَدَّسِ! كيف تمشي هكذا
من دون حُرَّاسٍ وجَوْقَةٍ منشدين،
كَمِشْيَة اللصِّ الجبان. وأنتَ مَنْ
أنتَ، المُعَظَّمُ، عاهلُ الموتى، القويُّ،
وقائدُ الجيش الأشوريِّ العنيدُ
فاصنع بنا، واصنع بنفسك ما تريدُ
وأنا أُريدُ، أُريد أن أحيا، وأن
أنساك .... أن أنسى علاقتنا الطويلة
لا لشيءٍ، بل لأقرأ ما تُدَوِّنُهُ
السماواتُ البعيدةُ من رسائلَ. كُلَّما
أعددتُ نفسي لا نتظار قدومِكَ
ازددتَ ابتعاداً. كلما قلتُ: ابتعدْ
عني لأُكمل دَوْرَةَ الجَسَدَيْنِ، في جَسَدٍ
يفيضُ، ظهرتَ ما بيني وبيني
ساخراً: " لا تَنْسَ مَوْعِدَنا" ...

–متى؟ - في ذِرْوَة النسيان
حين تُصَدِّقُ الدنيا وتعبُدُ خاشعاً
خَشَبَ الهياكل والرسومَ على جدار الكهف،

حيث تقول: " آثاري أَنا وأَنا ابنُ نفسي ". - أَين موعدُنا؟
أَتأذن لي بأن أَختار مقهىً عند
باب البحر؟ - لا .... لا تَقْتَرِبْ
يا ابنَ الخطيئةِ، يا ابن آدمَ من
حدود الله! لم تُولَدْ لتسأل، بل
لتعمل .... - كُن صديقاً طَيِّباً يا
موت! كُنْ معنىً ثقافياً لأُدرك
كُنْهَ حكمتِكَ الخبيئةِ! رُبَّما أَسْرَعْتَ
في تعليم قابيلَ الرمايةَ. رُبَّما
أَبطأتَ في تدريب أَيُّوبٍ على
الصبر الطويل. وربما أَسْرَجْتَ لي
فَرَساً لتقتُلَني على فَرَسي. كأني
عندما أَتذكَّرُ النسيانَ تُنقِذُ حاضري
لُغَتي. كأني حاضرٌ أَبداً. كأني
طائر أَبداً. كأني مُذْ عرفتُكَ
أَدمنتْ لُغَتي هَشَاشَتَها على عرباتك
البيضاءِ، أَعلى من غيوم النوم،
أَعلى عندما يتحرَّرُ الإحساس من عبء
العناصر كُلِّها. فأنا وأَنتَ على طريق
الله صوفيَّانِ محكومان بالرؤيا ولا يَرَيَان/
عُدْ يا مَوْتُ وحدَكَ سالماً،
فأنا طليق ههنا في لا هنا
أو لا هناك. وَعُدْ إلى منفاك
وحدك. عُدْ إلى أدوات صيدك،
وانتظرني عند باب البحر. هَيِّئ لي
نبيذاً أَحمراً للاحتفال بعودتي لِعِيادَةِ
الأرضِ المريضة. لا تكن فظّاً غليظ
القلب! لن آتي لأَسخر منك، أَو
أَمشي على ماء البُحَيْرَة في شمال
الروح. لكنِّي - وقد أَغويتَني - أَهملتُ

خاتمةَ القصيدةِ: لم أَزِفَّ إلى أَبي
أُمِّي على فَرَسي. تركتُ الباب مفتوحاً
لأندلُسِ الغنائيِّين، واخترتُ الوقوفَ
على سياج اللوز والرُمَّان، أَنفُضُ
عن عباءة جدِّيَ العالي خُيُوطَ
العنكبوت. وكان جَيْشٌ أَجنبيٌّ يعبر
الطُرُقَ القديمةَ ذاتها، ويَقِيسُ أَبعادَ
الزمان بآلة الحرب القديمة ذاتها/ ...
يا موت، هل هذا هو التاريخُ،
صِنْوُكَ أَو عَدُوُّك، صاعداً ما بين
هاويتين؟ قد تبني الحمامة عُشَّها
وتبيضُ في خُوَذ الحديد. وربما ينمو
نباتُ الشِّيح في عَجَلاتِ مَرْكَبَةٍ مُحَطَّمةٍ.
فماذا يفعل التاريخُ، صنوُكَ أو عَدُوُّكَ،
بالطبيعة عندما تتزوَّجُ الأرضَ السماءُ
وتذرفُ المَطَرَ المُقَدَّسَ؟/
أَيها الموت، انتظرني عند باب
البحر في مقهى الرومانسيِّين. لم
أَرجِعْ وقد طاشَتْ سهامُكَ مَرَّةً
إلاّ لأَودِعَ داخلي في خارجي،
وأُوزِّعَ القمح الذي امتلأتْ به رُوحي
على الشحرور حطَّ على يديَّ وكاهلي،
وأُودِّعَ الأرضَ التي تمتصُّني ملحاً، وتنثرني
حشيشاً للحصان وللغزالة. فانتظرني
ريثما أُنهي زيارتي القصيرة للمكان وللزمان،
ولا تُصَدِّقْني أَعودُ ولا أَعودُ
وأَقول: شكراً للحياة!
ولم أكن حَيّاً ولا مَيْتاً
ووحدك، كنتَ وحدك، يا وحيدُ!
تقولُ مُمَرِّضتي: كُنْتَ تهذي

كثيراً، وتصرخُ: يا قلبُ!
يا قَلْبُ! خُذْني
إلى دَوْرَة الماءِ/...
ما قيمةُ الروح إن كان جسمي
مريضاً، ولا يستطيعُ القيامَ
بواجبه الأوليِّ؟
فيا قلبُ، يا قلبُ أَرجعْ خُطَايَ
إليَّ، لأَمشي إلى دورة الماء
وحدي!
نسيتُ ذراعيَّ، ساقيَّ، والركبتين
وثُقَّاحةَ الجاذبيَّةْ
نسيتُ وظيفةَ قلبي
وبستانَ حوَّاءَ في أَوَّل الأبديَّةْ
نسيتُ وظيفةَ عضوي الصغير
نسيتُ التنفُّسَ من رئتيّ.
نسيتُ الكلام
أَخاف على لغتي
فاتركوا كُلَّ شيء على حالِهِ
وأَعيدوا الحياة إلى لُغَتي!..
تقول مُمَرِّضتي: كُنْتَ تهذي
كثيراً، وتصرخ بي قائلاً:
لا أُريدُ الرجوعَ إلى أَحَدِ
لا أُريدُ الرجوعَ إلى بلدِ
بعد هذا الغياب ألطويل...
أُريدُ الرجوعَ فَقَطْ
إلى لغتي في أقاصي الهديل
تقولُ مُمَرِّضتي:
كُنْتَ تهذي طويلاً، وتسألني:
هل الموتُ ما تفعلين بي الآنَ

أَم هُوَ مَوْتُ اللُّغَةْ؟

خضراءُ، أَرضُ قصيدتي خضراءُ، عاليةٌ...

على مَهَلٍ أُدوِّنُها، على مَهَلٍ، على
وزنِ النوارس في كتاب الماءِ. أَكتُبُها
وأُورِثُها لمنْ يتساءلون: لمنْ نُغَنِّي
حين تنتشرُ المُلُوحَةُ في الندى؟...
خضراءُ، أكتُبُها على نَثْر السنابل في
كتاب الحقلِ، قَوَّسَها امتلاءٌ شاحبٌ
فيها وفيَّ. وكُلَّما صادَقْتُ أَو
آخَيْتُ سُنْبُلَةً تَعَلَّمْتُ البقاءَ من
الفَنَاء وضدَّه: ((أَنا حَبَّةُ القمح
التي ماتت لكي تَخْضَرَّ ثانيةً. وفي
موتي حياةٌ ما ...))
كأني لا كأنّي
لم يمت أَحَدٌ هناك نيابةً عني.
فماذا يحفظُ الموتى من الكلمات غيرَ
الشُّكْرِ: " إنَّ الله يرحَمُنا... "
ويُؤْنِسُني تذكُّرُ ما نَسِيتُ مِنَ
البلاغة: " لم أَلِدْ وَلَداً ليحمل مَوْتَ
والِدِهِ... "

وآثَرْتُ الزواجَ الحُرَّ بين المُفْرَدات....
سَتَعْثُرُ الأُنثى على الذَّكَر المُلائِم
في جُنُوح الشعر نحو النثر....
سوف تشُبُّ أَعضائي على جُمَّيزَةٍ،
ويصُبُّ قلبي ماءَهُ الأَرضيَّ في
أَحَدِ الكواكب ... مَنْ أَنا في الموت
بعدي؟ مَنْ أَنا في الموت قبلي
قال طيفٌ هامشيٌّ: ((كان أوزيريسُ

مثْلَكَ، كان مثلي. وابنُ مَرْيَمَ
كان مثلَكَ، كان مثلي. بَيْدَ أَنَّ
الجُرْحَ في الوقت المناسب يُوجِعُ
العَدَمَ المريضَ، ويَرْفَعُ الموتَ المؤقّتَ
فكرةً))
من أَين تأتي الشاعريَّةُ؟ من
ذكاء القلب، أَمْ من فِطْرة الإحساس
بالمجهول؟ أَمْ من وردةٍ حمراءَ
في الصحراء؟ لا الشخصيُّ شخصيٌّ
ولا الكونيُّ كونيٌّ...

كأني لا كأني/...
كلما أَصغيتُ للقلب امتلأتُ
بما يقول الغَيْبُ، وارتفعتْ بِيَ
الأشجارُ. من حُلْم إلى حُلْم
أَطيرُ وليس لي هَدَفٌ أَخيرٌ.
كُنْتُ أُولَدُ منذ آلاف السنين
الشاعريَّةِ في ظلام أَبيض الكتّان
لم أَعرف تماماً مَنْ أَنا فينا ومن
حُلْمي. أَنا حُلْمي
كأني لا كأني...
لم تَكُنْ لُغَتي تُودِّعُ نَبْرها الرعويَّ
إلاّ في الرحيل إلى الشمال. كلابُنا
هَدَأَتْ. وماعِزُنا توشَّح بالضباب على
التلال. وشَجَّ سَهْمٌ طائش وَجْهَ
اليقين. تعبتُ من لغتي تقول ولا
تقولُ على ظهور الخيل ماذا يصنعُ
الماضي بأَيَّام امرئ القيس المُوَزَّع
بين قافيةٍ وقَيْصَرَ/...
كُلَّما يَمَّمْتُ وجهي شَطْرَ آلهتي،

هنالك، في بلاد الأرجوان أَضاءني
قَمَرٌ تُطَوِّقُهُ عناةُ، عناةُ سيِّدَةُ
الكِنايةِ في الحكايةِ. لم تكن تبكي على
أَحَدٍ، ولكنْ من مَفَاتِنِها بَكَتْ:
هَلْ كُلُّ هذا السحرِ لي وحدي
أَما من شاعرٍ عندي
يُقَاسِمُني فَرَاغَ التَخْتِ في مجدي؟
ويقطفُ من سياج أُنوثتي
ما فاض من وردي؟
أَما من شاعر يُغْوي
حليبَ الليل في نهدي؟
أَنا الأولى
أَنا الأخرى
وحدِّي زاد عن حدِّي
وبعدي تركُضُ الغِزلانُ في الكلمات
لا قبلي ... ولا بعدي/
سأحلُمُ، لا لأُصْلِحَ مركباتِ الريح
أَو عَطَباً أَصابَ الروحَ
فالأسطورةُ اتَّخَذَتْ مكانَتَها / المكيدةَ
في سياق الواقعيّ. وليس في وُسْع القصيدة
أَن تُغَيِّرَ ماضياً يمضي ولا يمضي
ولا أَنْ تُوقِفَ الزلزالَ
لكني سأحلُمُ،
رُبَّما اتسَعَتْ بلادٌ لي، كما أَنا
واحداً من أَهل هذا البحر،
كفَّ عن السؤال الصعب: ((مَنْ أَنا؟...
هاهنا؟ أَأَنا ابنُ أُمي؟))
لا تساوِرُني الشكوكُ ولا يحاصرني
الرعاةُ أو الملوكُ. وحاضري كغدي معي.
ومعي مُفَكِّرتي الصغيرةُ: كُلَّما حَكَّ

السحابةَ طائرٌ دَوَّنتُ: فَكَّ الحُلْمُ
أَجنحتي. أنا أَيضاً أطيرُ. فَكُلُّ
حيّ طائرٌ. وأَنا أَنا، لا شيءَ
آخَرَ/

واحدٌ من أَهل هذا السهل...
في عيد الشعير أَزورُ أطلالي
البهيَّة مثل وَشْم في الهُوِيَّةِ.
لا تبدِّدُها الرياحُ ولا تُؤبِّدُها/ ...
وفي عيد الكروم أَعُبُّ كأساً
من نبيذ الباعة المتجوِّلينَ ... خفيفةٌ
روحي، وجسمي مُثْقَلٌ بالذكريات وبالمكان/
وفي الربيع، أكونُ خاطرةً لسائحةٍ
ستكتُبُ في بطاقات البريد: ((على
يسار المسرح المهجور سَوْسَنَةٌ وشَخْصٌ
غامضٌ. وعلى اليمين مدينةٌ عصريَّةٌ/
وأَنا أَنا، لا شيء آخَرَ...
لَسْتُ من أَتباع روما الساهرينَ
على دروب الملح. لكنِّي أسَدِّدُ نِسْبَةً
مئويَّةً من ملح خبزي مُرْغماً، وأَقول
للتاريخ: زَيِّنْ شاحناتِكَ بالعبيد وبالملوك الصاغرينَ، ومُرَّ
...لا أَحَدٌ يقول
الآن: لا.
وأَنا أَنا، لا شيء آخر
واحدٌ من أَهل هذا الليل. أَحلُمُ
بالصعود على حصاني فَوْقَ، فَوْقَ...
لأَتبع اليُنْبُوعَ خلف التلِّ
فاصمُدْ يا حصاني. لم نَعُدْ في الريح مُخْتَلِفَيْنِ

...
أَنتَ فُتُوَّتي وأَنا خيالُكَ. فانتصِبْ
أَلِفاً، وصُكَّ البرقَ. حُكَّ بحافر
الشهوات أَوعيةَ الصَدَى. واصعَدْ،
تَجَدَّدْ، وانتصبْ أَلفاً، توتَّرْ يا
حصاني وانتصبْ ألفاً، ولا تسقُطْ
عنِ السفح الأَخير كرايةٍ مهجورةٍ في
الأَبجديَّة. لم نَعُدْ في الريح مُخْتَلِفَيْنِ،
أَنت تَعِلَّتي وأَنا مجازُكَ خارج الركب
المُرَوَّضِ كالمصائرِ. فاندفِعْ واحفُرْ زماني
في مكاني يا حصاني. فالمكانُ هُوَ
الطريق، ولا طريقَ على الطريق سواكَ
تنتعلُ الرياحَ. أَضُئْ نُجوماً في السراب!
أَضئْ غيوماً في الغياب، وكُنْ أَخي
ودليلَ برقي يا حصاني. لا تَمُتْ
قبلي ولا بعدي عَلى السفح الأخير
ولا معي. حَدِّقْ إلى سيَّارة الإسعافِ
والموتى ... لعلِّي لم أَزل حيّاً/
سأَحلُمُ، لا لأُصْلِحَ أَيَّ معنىً خارجي.
بل كي أُرمِّمَ داخلي المهجورَ من أَثر
الجفاف العاطفيِّ. حفظتُ قلبي كُلَّهُ
عن ظهر قلبٍ: لم يَعُدْ مُتَطفِّلاً
ومُدَلّلاً. تَكْفيهِ حَبَّةُ " أَسبرين " لكي
يلينَ ويستكينَ. كأَنَّهُ جاري الغريبُ
ولستُ طَوْعَ هوائِهِ ونسائِهِ. فالقلب
يَصْدَأُ كالحديدِ، فلا يئنُّ ولا يَحِنُّ
ولا يُجَنُّ بأَوَّل المطر الإباحيِّ الحنينِ،
ولا يرنُّ كعشب آبَ من الجفافِ.
كأَنَّ قلبي زاهدٌ، أَو زائدٌ
عني كحرف " الكاف " في التشبيهِ

حين يجفُّ ماءُ القلب تزدادُ الجمالياتُ
تجريداً، وتتَّثرُ العواطف بالمعاطفِ،
والبكارةُ بالمهارة/
كُلَّما يَمَّمْتُ وجهي شَطْرَ أُولى
الأغنيات رأيتُ آثارَ القطاة على
الكلام. ولم أَكن ولداً سعيداً
كي أَقولَ: الأمس أَجملُ دائماً.
لكنَّ للذكرى يَدَيْنِ خفيفتين تُهَيِّجانِ
الأرضَ بالحُمَّى. وللذكرى روائحُ زهرةٍ
ليليَّةٍ تبكي وتُوقظُ في دَمِ المنفيِّ
حاجتَهُ إلى الإنشاد: ((كُوني
مُرْتَقى شَجَني أَجدْ زمني)) ... ولستُ
بحاجةٍ إلاّ لِخَفْقَةِ نَوْرَسٍ لأتابعَ
السُفُنَ القديمةَ. كم من الوقت
انقضى منذ اكتشفنا التوأمين: الوقتَ
والموتَ الطبيعيَّ المُرَادِفَ للحياة؟
ولم نزل نحيا كأَنَّ الموتَ يُخطئنا،
فنحن القادرين على التذكُّر قادرون
على التحرُّر، سائرون على خُطى
جلجامشَ الخضراءِ من زَمَنٍ إلى زَمَنٍ/ ...
هباءٌ كاملُ التكوينِ...
يكسرُني الغيابُ كجرَّةِ الماءِ الصغيرة.
نام أَنكيدو ولم ينهض. جناحي نام
مُلْتَفّاً بحَفْنَةِ ريشِهِ الطينيِّ. آلهتي
جمادُ الريح في أَرض الخيال. ذِراعِيَ
اليُمْنى عصا خشبيَّةٌ. والقَلْبُ مهجورٌ
كبئرٍ جفَّ فيها الماءُ، فاتَّسَعَ الصدى
الوحشيُّ: أنكيدو! خيالي لم يَعُدْ
يكفي لأُكملَ رحلتي. لا بُدَّ لي من

قُوَّةٍ ليكون حُلْمي واقعيّاً. هاتِ
أَسْلِحتي أُلَمِّعْها بمِلح الدمع. هاتِ
الدمعَ، أنكيدو، ليبكي المَيْتُ فينا
الحيَّ. ما أنا؟ مَنْ ينامُ الآن
أنكيدو؟ أَنا أَم أَنت؟ آلهتي
كقبض الريح. فانهَضْ بي بكامل
طيشك البشريِّ، واحلُمْ بالمساواةِ
القليلةِ بين آلهة السماء وبيننا. نحن
الذين نُعَمِّرُ الأرضَ الجميلةَ بين
دجلةَ والفراتِ ونحفَظُ الأسماءَ. كيف
مَلَلْتَني، يا صاحبي، وخَذَلْتَني، ما نفْعُ حكمتنا بدون
فُتُوّةٍ ... ما نفعُ حكمتنا؟ على باب المتاهِ خذلتني،
يا صاحبي، فقتلتَني، وعليَّ وحدي
أَن أرى، وحدي، مصائرنا. ووحدي
أَحملُ الدنيا على كتفيَّ ثوراً هائجاً.
وحدي أَفتِّشُ شاردَ الخطوات عن
أَبديتي. لا بُدَّ لي من حَلِّ هذا
اللُّغْزِ، أنكيدو، سأحملُ عنكَ
عُمْرَكَ ما استطعتُ وما استطاعت
قُوَّتي وإرادتي أَن تحملاكَ. فمن
أنا وحدي؟ هَبَاءٌ كاملُ التكوينِ
من حولي. ولكني سأُسْنِدُ ظلَّ ّك
العاري على شجر النخيل. فأين ظلُّكَ؟
أَين ظلُّك بعدما انكسرَتْ جُذُوعُك؟
قمَّةُ
الإنسان
هاويةٌ...
ظلمتُكَ حينما قاومتُ فيكَ الوَحْشَ،
بامرأةٍ سَقَتْكَ حليبَها، فأنِسْتَ...
واستسلمتَ للبشريِّ. أَنكيدو، ترفَّقْ

بي وعُدْ من حيث مُتَّ، لعلَّنا
نجدُ الجوابَ، فمن أَنا وحدي؟
حياةُ الفرد ناقصةٌ، وينقُصُني
السؤالُ، فمن سأسألُ عن عبور
النهر؟ فانهَضْ يا شقيقَ الملح
واحملني. وأَنتَ تنامُ هل تدري
بأنك نائمٌ؟ فانهض.. كفى نوماً!
تحرَّكْ قبل أَن يتكاثَرَ الحكماءُ حولي
كالثعالب: [كُلُّ شيءٍ باطلٌ، فاغنَمْ
حياتَكَ مثلما هِيَ برهةً حُبْلَى بسائلها،
دَم العُشْب المُقَطَّر. عِشْ ليومك لا
لحلمك. كلُّ شيء زائلٌ. فاحذَرْ
غداً وعشِ الحياةَ الآن في امرأةٍ
تحبُّكَ. عِشْ لجسمِكَ لا لِوَهْمِكَ.
وانتظرْ
ولداً سيحمل عنك رُوحَكَ
فالخلودُ هُوَ التَّنَاسُلُ في الوجود.
وكُلُّ شيءٍ باطلٌ أو زائل، أو
زائل أو باطلٌ
مَنْ أَنا؟
أَنشيدُ الأناشيد
أم حِكْمَةُ الجامعةْ؟
وكلانا أَنا...
وأَنا شَاعرٌ
ومَلِكْ
وحكيمٌ على حافّة البئرِ
لا غيمةٌ في يدي
ولا أَحَدَ عَشَرَ كوكباً
على معبدي
ضاق بي جَسَدي

ضاق بي أَبدي
وغدي
جالسٌ مثل تاج الغبار
على مقعدي
باطلٌ، باطلُ الأباطيل ... باطلْ
كُلُّ شيءٍ على البسيطة زائلْ
أَلرياحُ شماليَّةٌ
والرياحُ جنوبيَّةٌ
تُشْرِقُ الشمسُ من ذاتها
تَغْرُبُ الشمسُ في ذاتها
لا جديدَ، إذاً
والزَمَنْ
كان أَمسِ،
سُدىً في سُدَى.
ألهياكلُ عاليةٌ
والسنابلُ عاليةٌ
والسماءُ إذا انخفضت مَطَرتْ
والبلادُ إذا ارتفعت أَقفرت
كُلُّ شيءٍ إذا زاد عن حَدِّهِ
صار يوماً إلى ضدِّهِ.
والحياةُ على الأرض ظلٌّ
لما لا نرى....
باطلٌ، باطلُ الأباطيل ... باطلْ
كلُّ شيءٍ على البسيطة زائلْ

1400مركبة
و١٢٠٠٠ فرس
تحمل اسمي المُذَهَّبَ من
زَمَنٍ نحو آخر...

عشتُ كما لم يَعِشْ شاعرٌ
مَلكاً وحكيماً...
هَرِمْتُ، سَئِمْتُ من المجدِ
لا شيءَ ينقصني
أَلهذا إذاً
كلما ازداد علمي
تعاظَمَ هَمِّي؟
فما أُورشليمُ وما العَرْشُ؟
لا شيءَ يبقى على حالِه
للولادة وَقْتٌ
وللموت وقتٌ
وللصمت وَقْتٌ
وللنُّطق وقْتٌ
وللحرب وقْتٌ
وللصُّلح وقْتٌ
وللوقتِ وقْتٌ
ولا شيءَ يبقى على حالِهِ...
كُلُّ نَهْرٍ سيشربُهُ البحرُ
والبحرُ ليس بملآنَ،
لاشيءَ يبقى على حالِهِ
كُلُّ حيّ يسيرُ إلى الموت
والموتُ ليس بملآنَ،
لا شيءَ يبقى سوى اسمي المُذَهَّبِ
بعدي:
((سُلَيمانُ كانَ...))
فماذا سيفعل موتي بأسمائهم
هل يُضيءُ الذَّهَبْ
ظلمتي الشاسعةْ
أَم نشيدُ الأناشيد

والجامعةْ؟
باطلٌ، باطلُ الأباطيل ... باطلْ
كُلُّ شيء على البسيطة زائلْ.../
مثلما سار المسيحُ على البُحَيْرَةِ،
سرتُ في رؤيايَ. لكنِّي نزلتُ عن
الصليب لأنني أَخشى العُلُوَّ،ولا
أُبَشِّرُ بالقيامةِ. لم أُغيِّرْ غَيْرَ
إيقاعي لأَسمَعَ صوتَ قلبي واضحاً.
للملحميِّين النُّسُورُ ولي أنا: طوقُ
الحمامةِ، نجمةٌ مهجورةٌ فوق السطوح،
وشارعٌ مُتَعرِّجُ يُفْضي إلى ميناءِ
عكا - ليس أكثرَ أو أَقلَّ–
أُريد أَن أُلقي تحيَّاتِ الصباح عليَّ
حيث تركتُني ولداً سعيدا [لم
أَكُنْ ولداً سَعيدَ الحظِّ يومئذٍ،
ولكنَّ المسافةَ، مثلَ حدَّادينَ ممتازينَ،
تصنَعُ من حديدٍ تافهٍ قمراً
–أَتعرفني؟
سألتُ الظلَّ قرب السورِ،
فانتبهتْ فتاةٌ ترتدي ناراً،
وقالت: هل تُكَلِّمني؟
فقلتُ: أُكَلِّمُ الشَبَحَ القرينَ
فتمتمتْ: مجنونُ ليلى آخرٌ يتفقَّدُ
الأطلالَ،
وانصرفتْ إلى حانوتها في آخر السُوق
القديمةِ...
ههنا كُنَّا. وكانت نَخْلَتانِ تحمِّلان
البحرَ بعضَ رسائلِ الشعراءِ...
لم نكبر كثيراً يا أَنا. فالمنظرُ

البحريُّ، والسُّورُ المُدَافِعُ عن خسارتنا،
ورائحةُ البَخُور تقول: ما زلنا هنا،
حتى لو انفصَلَ الزمانُ عن المكانِ.
لعلَّنا لم نفترق أَبداً
أَتعرفني؟
بكى الوَلَدُ الذي ضيَّعتُهُ:
((لم نفترق. لكننا لن نلتقي أَبداً))
وأَغْلَقَ موجتين صغيرتين على ذراعيه،
وحلَّـّق عالياً...
فسألتُ: مَنْ منَّا المُهَاجِرُ؟/
قلتُ للسّجَّان عند الشاطئ الغربيّ:
هل أَنت ابنُ سجّاني القديم؟
نعم!
فأين أَبوك؟
قال: أَبي توفِّيَ من سنين.
أُصيبَ بالإحباط من سَأَم الحراسة.
ثم أَوْرَثَني مُهمَّتَهُ ومهنته، وأوصاني
بان أَحمي المدينةَ من نشيدكَ...
قُلْتُ: مُنْذُ متى تراقبني وتسجن
فيَّ نفسَكَ؟
قال: منذ كتبتَ أُولى أُغنياتك
قلت: لم تَكُ قد وُلِدْتَ
فقال: لي زَمَنٌ ولي أَزليَّةٌ،
وأُريد أن أَحيا على إيقاع أمريكا
وحائطِ أُورشليمَ
فقلتُ: كُنْ مَنْ أَنتَ. لكني ذهبتُ.
ومَنْ تراه الآن ليس أنا، أَنا شَبَحي
فقال: كفى! أَلسْتَ اسمَ الصدى
الحجريِّ؟ لم تذهَبْ ولم تَرْجِعْ إذاً.

ما زلتَ داخلَ هذه الزنزانة الصفراءِ.
فاتركني وشأني!
قلتُ: هل ما زلتُ موجوداً
هنا؟ أَأَنا طليقٌ أَو سجينٌ دون
أن أدري. وهذا البحرُ خلف السور بحري؟
قال لي: أَنتَ السجينُ، سجينُ
نفسِكَ والحنينِ. ومَنْ تراهُ الآن
ليس أَنا. أَنا شَبَحي
فقلتُ مُحَدِّثاً نفسي: أَنا حيٌّ
وقلتُ: إذا التقى شَبَحانِ
في الصحراء، هل يتقاسمانِ الرملَ،
أَم يتنافسان على احتكار الليل؟/

المقطع قبل الأخير
كانت ساعَةُ الميناءِ تعمَلُ وحدها
لم يكترثْ أَحَدٌ بليل الوقت، صَيَّادو
ثمار البحر يرمون الشباك ويجدلون
الموجَ. والعُشَّاقُ في الـ" ديسكو" .
وكان الحالمون يُرَتِّبُون القُبَّراتِ النائماتِ
ويحلمون...
وقلتُ: إن متُّ انتبهتُ...
لديَّ ما يكفي من الماضي
وينقُصُني غَدٌ...
سأسيرُ في الدرب القديم على
خُطَايَ، على هواءِ البحر. لا
امرأةٌ تراني تحت شرفتها. ولم
أملكْ من الذكرى سوى ما ينفَعُ
السَّفَرَ الطويلَ. وكان في الأيام

ما يكفي من الغد. كُنْتُ أصْغَرَ
من فراشاتي ومن غَمَّازتينِ:
خُذي النُّعَاسَ وخبِّئيني في
الرواية والمساء العاطفيّ/

وَخبِّئيني تحت إحدى النخلتين/
وعلِّميني الشِعْرَ / قد أَتعلَّمُ
التجوال في أنحاء " هومير " / قد
أُضيفُ إلى الحكاية وَصْفَ
عكا / أقدم المدنِ الجميلةِ،
أَجملِ المدن القديمةِ / علبَةٌ
حَجَريَّةٌ يتحرَّكُ الأحياءُ والأمواتُ
في صلصالها كخليَّة النحل السجين
ويُضْرِبُونَ عن الزهور ويسألون
البحر عن باب الطوارئ كُلَّما
اشتدَّ الحصارُ / وعلِّميني الشِعْرَ/
قد تحتاجُ بنتٌ ما إلى أُغنية
لبعيدها: ((خُذْني ولو قَسْراً
إليكَ، وضَعْ منامي في
يَدَيْكَ)). ويذهبان إلى الصدى
مُتَعانِقَيْنِ / كأَنَّني زوَّجتُ ظبياً
شارداً لغزالةٍ / وفتحتُ أبوابَ
الكنيسةِ للحمام ... / وعَلِّميني
الشِعْرَ / مَنْ غزلتْ قميصَ
الصوف وانتظرتْ أمام البابِ
أَوْلَى بالحديث عن المدى، وبخَيْبَةِ
الأَمَلِ: المُحاربُ لم يَعُدْ، أو
لن يعود، فلستَ أَنتَ مَن
انتظرتُ/ ...

ومثلما سار المسيحُ على البحيرة...
سرتُ في رؤيايَ. لكنِّي نزلتُ عن
الصليب لأنني أَخشى العُلُوَّ ولا
أُبشِّرُ بالقيامة. لم أُغيِّر غيرَ إيقاعي
لأَسمع صوتَ قلبي واضحاً...
للملحمِيِّين النُسُورُ ولي أَنا طَوْقُ
الحمامة، نَجْمَةٌ مهجورةٌ فوق السطوح،
وشارعٌ يُفضي إلى الميناء/ ...
هذا البحرُ لي
هذا الهواءُ الرَّطْبُ لي
هذا الرصيفُ وما عَلَيْهِ
من خُطَايَ وسائلي المنويِّ ... لي
ومحطَّةُ الباصِ القديمةُ لي. ولي
شَبَحي وصاحبُهُ. وآنيةُ النحاس
وآيةُ الكرسيّ، والمفتاحُ لي
والبابُ والحُرَّاسُ والأجراسُ لي
لِيَ حَذْوَةُ الفَرَسِ التي
طارت عن الأسوار ... لي
ما كان لي. وقصاصَةُ الوَرَقِ التي
انتُزِعَتْ من الإنجيل لي
والمِلْحُ من أَثر الدموع على
جدار البيت لي...
واسمي، إن أخطأتُ لَفْظَ اسمي
بخمسة أَحْرُفٍ أُفُقيّةِ التكوين لي:
ميمُ / المُتَيَّمُ والمُيتَّمُ والمتمِّمُ ما مضى
حاءُ / الحديقةُ والحبيبةُ، حيرتانِ وحسرتان
ميمُ / المُغَامِرُ والمُعَدُّ المُسْتَعدُّ لموته
الموعود منفيّاً، مريضَ المُشْتَهَى
واو / الوداعُ، الوردةُ الوسطى،

ولاءٌ للولادة أَينما وُجدَتْ، وَوَعْدُ الوالدين
دال / الدليلُ، الدربُ، دمعةُ
دارةٍ دَرَسَتْ، ودوريّ يُدَلِّلُني ويُدْميني/
وهذا الاسمُ لي...
ولأصدقائي، أينما كانوا، ولي
جَسَدي المُؤَقَّتُ، حاضراً أم غائباً...
مِتْرانِ من هذا التراب سيكفيان الآن...
لي مِتْرٌ و٧٥ سنتمتراً...
والباقي لِزَهْرٍ فَوْضَويّ اللونِ،
يشربني على مَهَلٍ، ولي
ما كان لي: أمسي، وما سيكون لي
غَدِيَ البعيدُ، وعودة الروح الشريد
كأنَّ شيئاً لم يَكُنْ
وكأنَّ شيئاً لم يكن
جرحٌ طفيف في ذراع الحاضر العَبَثيِّ...
والتاريخُ يسخر من ضحاياهُ
ومن أَبطالِهِ...
يُلْقي عليهمْ نظرةً ويمرُّ...
هذا البحرُ لي
هذا الهواءُ الرَّطْبُ لي
واسمي–
وإن أخطأتُ لفظ اسمي على التابوت–
لي.
أَما أَنا - وقد امتلأتُ
بكُلِّ أَسباب الرحيل–
فلستُ لي.

أَنا لَستُ لي
أَنا لَستُ لي...

أحمد الزعتر

ليدين من حجر و زعتر
هذا النشيد.. لأحمد المنسيّ بين فراشتين
مضت الغيوم و شرّدتني
و رمت معاطفها الجبال و خبّأتني
..نازلا من نحلة الجرح القديم إلى تفاصيل
البلاد و كانت السنة انفصال البحر عن مدن
الرماد و كنت وحدي
ثم وحدي. ..
آه يا وحدي؟ و أحمد
كان اغتراب البحر بين رصاصتين
مخيّما ينمو، و ينجب زعنرا و مقاتلين
و ساعدا يشتدّ في النيسان
ذاكرة تجيء من القطارات التي تمضي
و أرصفة بلا مستقبلين و ياسمين
كان اكتشاف الذات في العربات
أو في المشهد البحري
في ليل الزنازين الشقيقة
قي العلاقات السريعة

و السؤال عن الحقيقة
في كل شيء كان أحمد يلتقي بنقيضه
عشرين عاما كان يسأل
عشرين عاما كان يرحل
عشرين عاما لم تلده أمّه إلّا دقائق في
إناء الموز
و انسحبت.
يريد هويّة فيصاب بالبركان،
سافرت الغيوم و شرّدتني
ورمت معاطفها الجبال و خبّأتني
أنا أحمد العربيّ - قال
أنا الرصاص البرتقال الذكريات
و جدت نفسي قرب نفسي
فابتعدت عن الندى و المشهد البحريّ
تل الزعتر الخيمة
و أنا البلاد و قد أتت
و تقمّصتني
و أنا الذهاب المستمرّ إلى البلاد
و جدت نفسي ملء نفسي. ..
راح أحمد يلتقي بضلوعه و يديه
كان الخطوة - النجمه

و من المحيط إلى الخليج، من الخليج إلى المحيط
كانوا يعدّون الرماح
و أحمد العربيّ يصعد كي يرى حيفا
و يقفز.
أحمد الآن الرهينه
تركت شوارعها المدينة
و أتت إليه
لتقتله
و من الخليج إلى المحيط، و من المحيط إلى الخليج
كانوا يعدّون الجنازة
وانتخاب المقصلة
أنا أحمد العربيّ - فليأت الحصار
جسدي هو الأسوار - فليأت الحصار
و أنا حدود النار - فليأت الحصار
و أنا أحاصركم
أحاصركم
و صدري باب كلّ الناس - فليأت الحصار
لم تأت أغنيتي لترسم أحمد الكحليّ في الخندق
الذكريات وراء ظهري، و هو يوم الشمس و الزنبق
يا أيّها الولد الموزّع بين نافذتين
لا تتبادلان رسائلي

قاوم

إنّ التشابه للرمال... و أنت للأزرق

و أعدّ أضلاعي فيهرب من يدي بردى

و تتركني ضفاف النيل مبتعدا

و أبحث عن حدود أصابعي

فأرى العواصم كلها زبدا. ..

و أحمد يفرك الساعات في الخندق

لم تأت أغنيتي لترسم أحمد المحروق بالأزرق

هو أحمد الكونيّ في هذا الصفيح الضيّق

المتمزّق الحالم

و هو الرصاص البرتقاليّ.. البنفسجه الرصاصيّة

و هو اندلاع ظهيرة حاسم

في يوم حريّه

يا أيّها الولد المكرّس للندى

قاوم!

يا أيّها البلد - المسدس في دمي

قاوم!

الآن أكمل فيك أغنيتي

و أذهب في حصارك

و الآن أكمل فيك أسئلتي

و أولد من غبارك

فاذهب إلى قلبي تجد شعبي
شعوبا في انفجارك
...سائرا بين التفاصيل اتكأت على مياه
فانكسرت
أكلّما نهدت سفرجله نسيت حدود قلبي
و التجأت إلى حصار كي أحدد قامتي
يا أحمد العربيّ؟
لم يكذب عليّ الحب. لكن كلّما جاء المساء
امتصّني جرس بعيد
التجأت إلى نزيفي كي أحدّد صورتي
يا أحمد العربيّ.
لم أغسل دمي من خبز أعدائي
و لكن كلّما مرّت خطاي على طريق
فرّت الطرق البعيدة و القريبة
كلّما آخيت عاصمة رمتني بالحقيبة
فالتجأت إلى رصيف الحلم و الأشعار
كم أمشي إلى حلمي فتسبقني الخناجر
آه من حلمي و من روما!
جميل أنت في المنفى
قتيل أنت في روما
و حيفا من هنا بدأت

و أحمد سلم الكرمل
و بسملة الندى و الزعتر البلدي و المنزل
لا تسرقوه من السنونو
لا تأخذوه من الندى
كتبت مراثيها العيون
و تركت قلبي للصدى
لا تسرقوه من الأبد
و تبعثروه على الصليب
فهو الخريطة و الجسد
و هو اشتعال العندليب
لا تأخذوه من الحمام
لا ترسلوه إلى الوظيفه
لا ترسموا دمه و سام
فهو البنفسج في قذيفه
صاعدا نحو التئام الحلم
تتّخذ التفاصيل الرديئة شكل كمّثرى
و تنفصل البلاد عن المكاتب
و الخيول عن الحقائب
للحصى عرق أقبّل صمت هذا الملح
أعطى خطبة الليمون لليمون
أوقد شمعتي من جرحي المفتوح للأزهار

و السمك المجفّف

للحصى عرق و مرآه

و للحطاب قلب يمامه

أنساك أحيانا لينساني رجال الأمن

يا امرأتي الجميلة تقطعين القلب و البصل

الطري و تذهبين إلى البنفسج

فاذكريني قبل أن أنسى يدي

...و صاعدا نحو التئام الحلم

تنكمش المقاعد تحت أشجاري و ظلّك ...

يختفي المتسلّقون على جراحك كالذباب الموسميّ

و يختفي المتفرجون على جراحك

فاذكريني قبل أن أنسى يديّ!

و للفراشات اجتهادي

و الصخور رسائلي في الأرض

لا طروادة بيتي

و لا مسّادة وقتي

و أصعد من جفاف الخبز و الماء المصادر

من حصان ضاع في درب المطار

و من هواء البحر أصعد

من شظايا أدمنت جسدي

و أصعد من عيون القادمين إلى غروب السهل

أصعد من صناديق الخضار

و قوّة الأشياء أصعد

أنتمي لسمائي الأولى و للفقراء في كل الأزقّة

ينشدون:

صامدون

و صامدون

و صامدون

كان المخيّم جسم أحمد

كانت دمشق جفون أحمد

كان الحجاز ظلال أحمد

صار الحصار مرور أحمد فوق أفئدة الملايين

الأسيرة

صار الحصار هجوم أحمد

و البحر طلقته الأخيرة!

يا خضر كل الريح

يا أسبوع سكّر!

يا اسم العيون و يا رخاميّ الصدى

يا أحمد المولود من حجر و زعتر

ستقول: لا

ستقول: لا

جلدي عباءة كلّ فلاح سيأتي من حقول التبغ

كي يلغي العواصم

و تقول: لا

جسدي بيان القادمين من الصناعات الخفيفة

و التردد.. و الملاحم

نحو اقتحام المرحلة

و تقول: لا

و يدي تحيات الزهوز و قنبلة

مرفوعة كالواجب اليومي ضدّ المرحلة

و تقول: لا

يا أيّها الجسد المضرّج بالسفوح

و بالشموس المقبلة

و تقول: لا

يا أيّها الجسد الذي يتزوّج الأمواج

فوق المقصلة

و تقول: لا

و تقول: لا

و تقول: لا

و تموت قرب دمي و تحيا في الطحين

ونزور صمتك حين تطلبنا يداك

و حين تشعلنا اليراعة

مشت الخيول على العصافير الصغيرة

فابتكرنا الياسمين
ليغيب وجه الموت عن كلماتنا
فاذهب بعيدا في الغمام و في الزراعة
لا وقت للمنفى و أغنيتي. ..
سيجرفنا زحام الموت فاذهب في الرخام
لنصاب بالوطن البسيط و باحتمال الياسمين
واذهب إلى دمك المهيّأ لانتشارك
و اذهب إلى دمي الموحّد في حصارك
لا وقت للمنفى. ..
و للصور الجميلة فوق جدران الشوارع و الجنائز
و التمني
كتبت مراثيها الطيور و شرّدتني
ورمت معاطفها الحقول و جمعتني
فاذهب بعيدا في دمي! و اذهب بعيدا في الطحين
لنصاب بالوطن البسيط و باحتمال الياسمين
يا أحمد اليوميّ
يا اسم الباحثين عن الندى و بساطة الأسماء
يا اسم البرتقاله
يا أحمد العاديّ!
كيف محوت هذا الفارق اللفظيّ بين الصخر و التفاح
بين البندقيّة و الغزاله!

لا وقت للمنفى و أغنيتي. ..
سنذهب في الحصار
حتى نهايات العواصم
فاذهب عميقا في دمي
اذهب براعم
و اذهب عميقا في دمي
اذهب خواتم
و اذهب عميقا في دمي
اذهب سلالم
يا أحمد العربيّ... قاوم!
لا وقت للمنفى و أغنيتي. ..
سنذهب في الحصار
حتى رصيف الخبز و الأمواج
تلك مساحتي و مساحة الوطن - الملازم
موت أمام الحلم
أو حلم يموت على الشعار
فاذهب عميقا في دمي و اذهب عميقا في الطحين
لنصاب بالوطن البسيط و باحتمال الياسمين
...و له انحناءات الخريف
له وصايا البرتقال
له القصائد في النزيف

له تجاعيد الجبال

له الهتاف

له الزفاف

له المجلّات الملوّنه

المراثي المطمئنة

ملصقات الحائط

العلم

التقدّم

فرقة الإنشاد

مرسوم الحداد

و كل شيء كل شيء كل شيء

حين يعلن وجهه للذاهبين إلى ملامح مجهه

يا أحمد المجهول!

كيف سكنتنا عشرين عاما و اختفيت

و ظلّ وجهك غامضا مثل الظهيرة

يا أحمد السريّ مثل النار و الغابات

أشهر وجهك الشعبيّ فينا

واقرأ وصيّتك الأخيرة؟

يا أيّها المتفرّجون! تناثروا في الصمت

و ابتعدوا قليلا عنه كي تجدوه فيكم

حنطة ويدين عاريتين

وابتعدوا قليلا عنه كي يتلو وصيّته

على الموتى إذا ماتوا

و كي يرمي ملامحه

على الأحياء ان عاشوا!

أخي أحمد!

و أنت العبد و المعبود و المعبد

متى تشهد

متى تشهد

متى تشهد؟

ريتا والبندقية

بين ريتا وعيوني.. بندقيهْ
والذي يعرف ريتا، ينحني
ويصلي
لإلهٍ في العيون العسليّهْ!

..وأنا قبّلت ريتا

عندما كانت صغيره
وأنا أذكر كيف التصقتْ
بي، وغطّت ساعدي أحلى ضفيره
وأنا أذكر ريتا
مثلما يذكر عصفورٌ غديره
آه.. ريتا
بيننا مليون عصفور وصوره
ومواعيد كثيره
أطلقتْ ناراً عليها.. بندقيّهْ
إسمُ ريتا كان عيداً في فمي
جسم ريتا كان عرساً في دمي

وأنا ضعت بريتا.. سنتينِ.

وهي نامت فوق زندي سنتين
وتعاهدنا على أجمل كأس، واحترقنا
في نبيذ الشفتين

وولدنا مرتين!

آه.. ريتا

أي شيء ردّ عن عينيك عينيَّ

سوى إغفائتين

وغيوم عسليّهْ

قبل هذي البندقيهْ!

كان يا ما كان

يا صمت العشيّهْ

قمري هاجر في الصبح بعيداً

في العيون العسليّهْ

والمدينة

كنست كل المغنين، وريتا

بين ريتا وعيوني. بندقيّهْ

فكر بغيرك

وأَنتَ تُعِدُّ فطورك ’ فكِّرْ بغيركَ

لا تَنْسَ قُوتَ الحمامْ

وأَنتَ تخوضُ حروبكَ، فكِّر بغيركَ

لا تَنْسَ مَنْ يطلبون السلامْ

وأنت تسدد فاتورة الماء، فكر بغيرك

من يرضعون الغمام
وأَنتَ تعودُ إلى البيت، بيتِكَ، فكِّرْ بغيركَ
لا تنس شعب الخيامْ
وأَنت تنام وتُحصي الكواكبَ، فكِّرْ بغيركَ
ثَمَّةَ مَنْ لم يجد حيّزاً للمنام
وأَنتَ تحرِّرُ نفسك بالاستعارات،فكِّرْ بغيركَ
مَنْ فَقَدُوا حَقَّهم في الكلامْ
وأَنتَ تفكِّر بالآخرين البعيدين، فكِّرْ بنفسك
قُلْ: ليتني شمعةٌ في الظلامْ

الآن... في المنفي

الآن... في المنفي.. نَعَمْ في البيتِ،
في السِّتينَ من عمْر سريع
يوقدون الشَّمْعَ لَكْ

فافرَحْ، بأقصي ما استطعتَ من الهدوء،
لأنَّ موتا طائشا ضَلَّ الطريقَ إليك
من فرط الزحام... وأَجَّلكْ

قَمَر فضوليّ علي الأطلال،
يضحك كالغبيِّ
فلا تصدِّقْ أنه يدنو لكي يستقبلَكْ
هوَ، في وظيفته القديمةِ، مثل آذارَ
الجديدِ... أَعادَ للأشجار أَسماءَ الحنينِ
وأَهمَلكْ.

فلتحتفلْ مع أَصدقائكَ بانكسار الكأس.
في الستين لن تَجِدَ الغَدَ الباقي
لتحمِلَه علي كَتِفِ النشيد... ويحملَكْ

قلْ للحياةِ، كما يليق بشاعر متمرِّسِ:
سِيري ببطء كالإناث الواثقات بسحرهنَّ
وكيدهنَّ. لكلِّ واحدةٍ نداء ما خفيّ
هَيْتَ لَكْ/ ما أَجملَكْ!

سيري ببطء، يا حياة، لكي أَراك
بِكامل النقْصَان حولي. كم نسيتكِ في
خضمِّكِ باحثا عنِّي وعنكِ. وكلَّما أدركت
سرًّا منك قلت بقسوة: ما أَجهلَكْ!

قل للغياب: نَقَصْتَني
وأَنا حضرت... لأكملك!

بُرْتُقَالّيةً

بُرْتُقَالّيةً، تدخلُ الشمس في البحرِ/
والبرتقالةُ قنديلُ ماءٍ على شَجَرٍ باردٍ

برتقاليةً، تَلِدُ الشمسُ طفلَ الغروب الإلهيَّ/
والبرتقالةُإحدى وصيفاتها،تتأمَّلُ مجهولها
برتقاليةً تسكب الشمسُ سائلها في فم البحرِ
والبرتقالةُ خائفة من فمِ جائعِ

برتقاليةً، تدخل الشمسُ في دورة الأبديّةِ/
والبرتقالةُ تحظى بتمجيد قاتِلِها:
تلك فاكهةٌ مثل حَبَّة شمسٍ
تُقَشَّرُ باليد والفمِ، مَبْحُوحَةُ الطعمِ
ثرثارةُ العطر سكري بسائلها...
لونها لا شبيهَ له غيرها،

لونها صِفَةُ الشمس في نومها

لونها طعمها: حامضٌ سُكَّريٌّ،

غنيٌّ بعافية الضوء والفيتامين..

وليس على الشعر من حَرَجٍ إنْ

تلعثم في سَرْدِهِ، وانتبهْ

إلى خَلَلٍ رائعٍ في الشَّبَهْ!

هنالك عرسٌ

هنالك عرسٌ علي بعد بيتين

فلا تغلقوا الباب لا تحجبوا نزوة

الفرح الشاذ عنا فإن ذبلت وردة

لا يحس الربيع بواجبه في البكاء

وإن صمت العندليب المريض أعار الكناري

حصته في الغناء وإن وقعت نجمة

لا تصاب السماء بسوء

هنالك عرس

فلا تغلقوا الباب في وجه هذا الهواء

المضمخ بالزنجبيل وخوخ العروس التي

تنضج الآن (تبكي وتضحك كالماء .

لا جرح في الماء. لا أثر لدم

سال في الليل)

قيل: قوي هو الحب كالموت !

قلت: ولكن شهوتنا للحياة

ولو خذلتنا البراهين أقوي من

الحب والموت /

فلننه طقس جنازتنا كي نشارك

جيراننا في الغناء

الحياة بديهية.. وحقيقية كالهباء

لوصف زهر اللوز

لوصف زهر اللوز، لا موسوعة الأزهار
تسعفني، ولا القاموس يسعفني...
سيخطفني الكلام إلى أحابيل البلاغة
والبلاغة تجرح المعنى وتمدح جرحه،
كمذكر يملي على الأنثى مشاعرها
فكيف يشع زهر اللوز في لغتي أنا
وأنا الصدى؟
وهو الشفيف كضحكة مائية نبتت
على الأغصان من خفر الندى...
وهو الخفيف كجملة بيضاء موسيقية...
وهو الضعيف كلمح خاطرة
تطل على أصابعنا
ونكتبها سدى
وهو الكثيف كبيت شعر لا يدون
بالحروف
لوصف زهر اللوز تلمزني زيارات إلى
اللاوعي ترشدني إلى أسماء عاطفة
معلقة على الأشجار. ما اسمه؟
ما اسم هذا الشيء في شعرية اللاشيء؟
يلزمني اختراق الجاذبية والكلام،
لكي أحس بخفة الكلمات حين تصير
طيفا هامسا فأكونها وتكونني
شفافة بيضاء
لا وطن ولا منفى هي الكلمات،
بل ولع البياض بوصف زهر اللوز

لا ثلج ولا قطن فما هو في
تعاليه على الأشياء والأسماء
لو نجح المؤلف في كتابة مقطعٍ
في وصف زهر اللوز، لانحسر الضباب
عن التلال، وقال شعب كامل:
هذا هوَ
هذا كلام نشيدنا الوطني!

في البيت أَجلس

في البيت أَجلس، لا حزيناً لا سعيداً
لا أَنا، أَو لا أَحَدْ
صُحُفٌ مُبَعْثَرَةٌ. وورْدُ المزهريَّةِ لا يذكِّرني
بمن قطفته لي. فاليوم عطلتنا عن الذكرى،
وعُطْلَةُ كُلِّ شيء... إنه يوم الأحدْ
يوم نرتِّبُ فيه مطبخنا وغُرْفَةَ نومنا،
كُلٍّ على حِدَةٍ. ونسمع نشرةَ الأخبار
هادئةً، فلا حَرْبٌ تُشَنُّ على بَلَدْ
ألأمبراطورُ السعيدُ يداعبُ اليومَ الكلابَ،
ويشرب الشمبانيا في ملتقى نَهْدَين من
عاج... ويَسْبَحُ في الزَّبَدْ

ألأمبراطور الوحيدُ اليوم في قيلولةٍ،
مثلي ومثلك، لا يُفَكِّر بالقيامة.. فَهْيَ
مُلْك يَمينِهِ، هِيَ الحقيقةُ والأَبدْ!

كَسَلٌ خفيفُ الوزن يطهو قهوتي
والهالُ يصهَلُ في الهواء وفي الجَسَدْ

وكأنني وحدي. أنا هو أو أنا الثاني
رآني واطمأَنَّ على نهاري وابتعدْ

يوم الأَحد
هو أوَّل الأيام في التوراة، لكنَّ

الزمان يغيِّر العاداتِ: إذ يرتاح
ربُّ الحرب في يوم الأحدْ
في البيت أجلس، لا سعيداً لا حزيناً
بين بين. ولا أُبالي إن علمت بأنني
حقاً أنا... أو لا أَحَدْ!

فرحاً بشيءٍ ما خفيٍّ

فرحاً بشيءٍ ما خفيٍّ، كُنْتُ أَحتضن
الصباح بقُوّة الإنشاد أَمشي واثقاً
بخطايَ' أَمشي واثقاً برؤايَ. وَحْيٌ ما
يناديني: تعالَ! كأَنَّه إيماءةٌ سحريّةٌ
وكأنه حُلْمٌ ترجَّل كي يدربني على أَسراره'
فأكون سيِّدَ نجمتي في الليل.. معتمداً
على لغتي. أَنا حُلْمي أنا. أنا أُمُّ أُمّي
في الرؤى وأَبو أَبي وابني أَنا.

فرحاً بشيءٍ ما خَفيٍّ' كان يحملني
على آلاته الوتريّةِ الإنشادُ. يَصْقُلُني
ويصقلني كماس أَميرة شرقية
ما لم يُغَنَّ الآن
في هذا الصباح
فلن يُغَنّى

أَعطنا، يا حُبُّ فَيْضَكَ كُلَّه لنخوض
حرب العاطفيّين الشريفةَ فالمُناخُ ملائمٌ
والشمس تشحذ في الصباح سلاحنا
يا حُبّ! لا هدفٌ لنا إلاّ الهزيمةَ في
حروبك... فانتصرْ أَنت انتصرْ سَلِمَتْ
يداك! وَعُدْ إلينا خاسرين... وسالماً!

لا أعرف الشخص الغريب

فإن أسباب
الوفاة كثيرةٌ من بينها وجع الحياة
سألتُ نفسي: هل يرانا أم يرى
عَدَماً ويأسفُ للنهاية؟ كنت أعلم أنه
لن يفتح النَّعْشَ المُغَطَّى بالبنفسج كي
يُودِّعَنا ويشكرنا ويهمسَ بالحقيقة
ما الحقيقة؟.رُبِّما هُوَ مثلنا في هذه
الساعات يطوي ظلِّهُ. لكَّنهُ هُوَ وحده
الشخصُ الذي لم يَبْكِ في هذا الصباح،
ولم يَرَ الموت المحلِّقَ فوقنا كالصقر...
فالأحياء هم أَبناءُ عَمِّ الموت، والموتى
نيام هادئون وهادئون ولم
أَجد سبباً لأسأل: من هو الشخص
الغريب وما اسمه؟ لا برق
يلمع في اسمه والسائرون وراءه
عشرون شخصاً ما عداي أنا سواي
وتُهْتُ في قلبي على باب الكنيسة:
ربما هو كاتبٌ أو عاملٌ أو لاجئ
أو سارقٌ أو قاتلٌ... لا فرق،
فالموتى سواسِيَةٌ أمام الموت... لا يتكلمون
وربما لا يحملون...
وقد تكون جنازةُ الشخصِ الغريب جنازتي
لكنِّ أَمراً ما إلهياً يُؤَجَّلُها
لأسبابٍ عديدةْ

من بينها: خطأ كبير في القصيدةْ!
فرحاً بشيءٍ ما خفيٍّ كنتُ أَمشي
حالماً بقصيدة زرقاء من سطرين، من
سطرين... عن فرح خفيف الوزن،
مرئيٍّ وسرّيّ معاً
مَنْ لا يحبُّ الآن
في هذا الصباح،
فلن يُحبّ!

قال لها: ليتني كُنْتُ أَصْغَرَ...

قال لها: ليتني كُنْتُ أَصْغَرَ...

قالت لَهُ: سوف أكبر ليلاً كرائحة

الياسمينة في الصيفِ

ثم أَضافت: وأَنت ستصغر حين

تنام، فكُلُّ النيام صغارٌ، وأَمَّا أَنا

فسأسهر حتى الصباح ليسودَّ ما تحت

عينيَّ. خيطان من تَعَبٍ مُتْقَنٍ يكفيان

لأَبْدوَ أكبرَ. أَعصرُ ليمونةً فوق

بطني لأُخفيَ طعم الحليب ورائحة القُطْنِ.

أَفرك نهديَّ بالملح والزنجبيل فينفر نهدايَ

أكثر/

قال لها: ليس في القلب مُتَّسَعٌ

للحديقة يا بنت... لا وقت في جسدي

لغدٍ... فاكبري بهدوءٍ وبُطْءٍ

فقالت له: لا نصيحةَ في الحب. خذني

لأكبَرَ! خذني لتصغرَ

قال لها: عندما تكبرين غداً ستقولين:

يا ليتني كُنتُ أَصغرَ

قالت له: شهوتي مثل فاكهةٍ لا

تُؤَجَّلُ... لا وَقْتَ في جسدي لانتظار

غدي!